خصائص النظم النبوي

في

قصة أصحاب الغار الثلاثة

إعداد الدكتور

عبد الغفار يونس صديق بدري

أستاذ البلاغة والنقد المساعد

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين

جامعة الأزهر بالقاهرة

خصائص النظم النبوي في قصة أصحاب الغار الثلاثة

عبد الغفار يونس صديق بدري

قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين ،جامعة الأزهر بالقاهرة، مصر

البريد الالكتروني : abdelghaffarbadri.4@azhar.edu.eg

الملخص:

تناول هذا البحث تحليل النظم النبوي في قصة أصحاب الغار الثلاثة تحليلًا بلاغيًا يكشف عن خصائصه اللغوية وأسراره البيانية، ويبين ما فيه من تشابه وتنوع.

ويعد حديث أصحاب الغار والصخرة الثلاثة من الأحاديث المشهورة المتفق عليها، التي تلقتها الأمة بالقبول، فقد رواه جمع من الأئمة، عن كثير من كبار الصحابة رضوان الله عليهم، وعمق به النبي- صلى الله عليه وسلم ــ طائفة من المفاهيم والقيم التي تعد من المسائل الكبرى في النماذج الكلية من حياة الإنسان.

وتعد قصة أصحاب الغار الثلاثة من أطول القصص في السنة النبوية، وقد تعددت حلقاتها، وتنوعت مشاهدها، واشتملت على ضروب من العظات والعبر.

وقد صدر البحث بمجموعة مسائل مهمة تتعلق بالحديث، وتكشف وتمهد له ولدراسته.

ثم أربعة مباحث عنيت بتحليل النظم النبوي في قصة أصحاب الغار الثلاثة، وأهم خصائصه.

تلاها المبحث الخامس: ورصدت فيه أهم الخصائص البلاغية العامة في قصة أصحاب الغار الثلاثة، وانتهى بخاتمة: كانت ملخصًا للبحث ورصدًا لأهم نتائجه.

الكلمات المفتاحية: النظم النبوي ، أصحاب الغار ، البر، الصخرة، الدعاء، القيم، العظات.

Characteristics of the Prophet's systems in the story of the three owners of the grotto

By: Abdel- Ghaffar Younus Siddiq Badri
Department of Arabic Language and Literature
Faculty of Islamic and Arabic Studies for Men in Cairo
Azhar University

Abstract

This research dealt with the analysis of the prophetic systems in the story of the Three Companions of the grotto, a rhetorical analysis that reveals its linguistic characteristics and rhetorical secrets, and shows the similarities and diversity in it.

The hadith of the Three Companions of the grotto and the Rock is one of the well-known and agreed upon hadiths that were accepted by the nation. It was narrated by a group of imams, on the authority of many of the great companions, may Allah be pleased with them, and the Prophet - May the blessings of Allah be upon him - deepened a range of concepts and values that are among the major issues. In the macro models of human life.

The story of the Three Companions of the grotto is one of the longest stories in the Prophetic Sunnah, and its episodes were numerous, and its scenes varied, and included various sermons and lessons.

The research was issued with a set of important issues related to the hadith, and it revealed and paved the way for it and to study it.

Then four topics concerned with analyzing the Prophet's systems in the story of the Three Companions of the grotto, and its most important characteristics.

It was followed by the fifth topic: the most important general rhetorical characteristics in the story of the three owners of the grotto were noted.

And it ended with a conclusion: it was a summary of the research and a monitoring of its most important results.

.

Keywords: the prophetic system, the owners of the cave, righteousness, the rock, supplication, values, sermons.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمـــة

الحمد لله مفرج الكرب، واهب النعم، والصلاة والسلام على سيد أولي العزم، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

وبعد

فيعد حديث قصة أصحاب الغار والصخرة الثلاثة من الأحاديث المشهورة المتفق عليها، التي تلقتها الأمة بالقبول، فقد رواه جمع من الأئمة، عن كثير من كبار الصحابة رضوان الله عليهم، وعمق به النبي- ﷺ- طائفة من المفاهيم والقيم التي تعد ـ على حد قول الدكتور/ كمال عز الدين ـ من المسائل الكبرى في النماذج الكلية من حياة الإنسان(١) فالقصة التي يرويها لنا هذا الحديث الشريف لثلاثة نماذج من النفوس البشرية المؤمنة، وهي تقف على قمم من السلوك الإيجابي، هي البر بالوالدين، والعفة عن الحرام مع القدرة عليه، وحفظ الحق بل تنميته وأدآؤه إلى أهله، ذكر النبي ـ ﷺ ـ قصتهم من باب المدح والثناء عليهم؛ ليكونوا قدوة ومثلا يحتذى بهم في إخلاصهم، والتصوير بالقصة ـــ على حد قول الدكتور/ محمد لطفي الصباغ ـــ من أجمل أساليب التصوير، وأعمقها أثرًا في النفس؛ ذلك لأن النفس البشرية ميالة لسماع القصة؛ تجد فيها الأنس والمتعة في متابعة أحداثها، وقد تجد فيها ما تريده؛ فيترك ذلك فيها من التأثير والاستمتاع ما لا تبلغه وسيلة أخرى.(٢)

والقصة في هذا الحديث الشريف من القصص النبوية الطويلة التي تكشف أبعادًا متنوعة في البلاغة العربية، والتميز البياني الرصين والفصيح، الدال والممتع في آن واحد، بما يحمله من مظاهر سردية وسيميائية وأسلوبية، وتتميز بخصائص انفردت بها، تتجلى هذه الخصائص في أسلوب الحديث الذي

(١) – الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، د/ كمال عز الدين السيد، صـ ٤٥٩، نشر: دار اقرأ، الطبعة الأولى ١٩٨٤م.

(٢) – التصوير الفني في الحديث النبوي د/ محمد لطفي الصباغ، صـــ٤٩٨، نشر: المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

تميز به، والأساليب البلاغية التي تضمنها كلام أولئك النفر الثلاثة، فضلا عن جمال مضمونه، وإبداع العرض، وجمال التنسيق وقوة الأداء وعرض الأحداث في صورة نابضة بالحركة وبأساليب مشوقة.

وهذا مما دعاني إلى دراسة هذا الحديث الشريف دراسة بلاغية تحليلية؛ فجاء عنوان البحث: (خصائص النظم النبوي في قصة أصحاب الغار الثلاثة)

أسباب اختيار الموضوع:

وكان من أهم ما دفعني لاختيار هذا الموضوع ما يأتي:

١- أهمية تطبيق الجانب النظري في البلاغة على النصوص البليغة لتظهر فائدتها جلية، لاسيما تطبيقها على أصح ما وصل إلينا من أحاديث أبلغ البشر التي تكثر فيها النكت البلاغية، والأسرار اللغوية.

٢- أهمية الدراسة البلاغية التحليلية في الكشف عن سمات التراكيب وخصائصها، وفي إظهار الفروق الدقيقة بينها.

٣- الرغبة في معايشة البيان النبوي، بعد معايشتي للبيان القرآني؛ فهما أرقى بيان، وأعظم الدرس البلاغي ما قام على دراسة الأساليب المعجزة.

٤- اشتمال حديث قصة أصحاب الغار الثلاثة على كثير من الفنون والخصائص البلاغية.

٥- أن الموضوع ــ فيما يبدو لي ــ جديد؛ فمع كثرة ما كتب حول هذا الحديث الشريف، ومع كثرة ما خص به من الشروح والتأليف إلا أنه يفتقر إلى دراسة بلاغية تبين ما توفر فيه من أساليب بلاغية.

الدراسات السابقة:

لم يقم أحد من الباحثين- فيما قرأت- بعمل دراسة بلاغية خاصة بحديث قصة أصحاب الغار الثلاثة؛ لذا فالموضوع يعد بكرًا في وجهته.

خطة البحث:

جاء البحث في مقدمة، وتمهيد، وخمسة مباحث، وخاتمة.

أما المقدمة: فقد تحدثت فيها عن الموضوع وأهميته، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، والخطة التي سرت عليها، والمنهج الذي اتبعته فيه.

وأما التمهيد فكان بعنوان: بين يدي حديث قصة أصحاب الغار الثلاثة

وتحدثت فيه عن مجموعة مسائل مهمة تتعلق بحديث أصحاب الغار الثلاثة، تكشف وتمهد للحديث ولدراسته.

وأما المبحث الأول: فكان بعنوان:

خصائص النظم النبوي في فضيلة التوسل بالعمل الصالح

وأما المبحث الثاني: فكان بعنوان:

خصائص النظم النبوي في قصة الرجل البار بأبويه

وأما المبحث الثالث: فكان بعنوان:

خصائص النظم النبوي في قصة الرجل العاف عن الحرام

وأما المبحث الرابع: فكان بعنوان:

خصائص النظم النبوي في قصة الرجل الأمين

وأما المبحث الخامس: فكان بعنوان:

الخصائص البلاغية العامة في قصة أصحاب الغار الثلاثة

وأما الخاتمة: فكانت ملخصًا للبحث ورصدًا لأهم نتائجه.

منهج البحث:

اقتضت طبيعة البحث استخدام المنهج الفني التحليلي الأدبي؛ فقسمت الحديث إلى مقدمته وقصصه الثلاث، فكنت أقوم بتحليل القصة بلاغيًا، فأبين معاني المفردات- معتمداً في ذلك على أُمَّات كتب المعاجم العربية- وسبب اختيار الحديث لمفردة دون أخرى، وأبين موقعها الإعرابي، بالقدر الذي يحتاج البحث إليه، مع بيان ما في القصة من فنون بلاغية.

وفي نهاية تحليلي للقصة أقوم ببيان أهم الخصاص البلاغية التي شاعت في القصة معتمدًا في ذلك على المنهج الوصفي.

وفي نهاية البحث عقدت مبحثًا للخصائص البلاغية العامة في الحديث الشريف.

هذا وقد صدَّرْت البحث بنص الحديث وأهم مسائله.

وقد اعتمد البحث أول رواية وردت في صحيح الإمام البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، وهي الواردة في كتاب: "البيوع"، باب: "إذا اشترى شيئا لغيره بغير إذنه فرضي"، حديث رقم: "٢٢١٥"، جـ ٣ صـ ٧٩، نشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ. مع الرجوع إلى الروايات الأخرى الواردة في كتب السنة، إذا تضمنت فنًا بلاغيًا، لم يرد في الرواية المعتمدة.

هذا والله أسأل أن ينال البحث الرضا والقبول إنه ولي ذلك والقادر عليه.

تمهيد

بين يدي حديث قصة أصحاب الغار الثلاثة

أتناول في هذا التمهيد بعض المسائل المهمة التي تتعلق بحديث قصة أصحاب الغار الثلاثة، وتكشف وتمهد للحديث ولدراسته، وهي ما يأتي:

أولا: نص الحديث:

قال الإمام البخاري رضي الله عنه:

حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا أبو عاصم، أخبرنا ابن جريج، قال: أخبرني موسى بن عقبة، عن نافع، عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ـ ﷺ ـ قال:

"خَرَجَ ثَلاَثَةُ نَفَرٍ يَمْشُونَ فَأَصَابَهُمُ المَطَرُ، فَدَخَلُوا فِي غَارٍ فِي جَبَلٍ، فَانْحَطَّتْ عَلَيْهِمْ صَخْرَةٌ، قَالَ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: ادْعُوا اللهَ بِأَفْضَلِ عَمَلٍ عَمِلْتُمُوهُ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ إِنِّي كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَرْعَى، ثُمَّ أَجِيءُ فَأَحْلُبُ فَأَجِيءُ بِالحِلاَبِ، فَآتِي بِهِ أَبَوَيَّ فَيَشْرَبَانِ، ثُمَّ أَسْقِي الصِّبْيَةَ وَأَهْلِي وَامْرَأَتِي، فَاحْتَبَسْتُ لَيْلَةً، فَجِئْتُ فَإِذَا هُمَا نَائِمَانِ، قَالَ: فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا، وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ رِجْلَيَّ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبِي وَدَأْبَهُمَا، حَتَّى طَلَعَ الفَجْرُ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ، قَالَ: فَفُرِجَ عَنْهُمْ، وَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ أُحِبُّ امْرَأَةً مِنْ بَنَاتِ عَمِّي كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرَّجُلُ النِّسَاءَ، فَقَالَتْ: لاَ تَنَالُ ذَلِكَ مِنْهَا حَتَّى تُعْطِيَهَا مِائَةَ دِينَارٍ، فَسَعَيْتُ فِيهَا حَتَّى جَمَعْتُهَا، فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا قَالَتْ: اتَّقِ اللهَ وَلاَ تَفُضَّ الخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَقُمْتُ وَتَرَكْتُهَا، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً، قَالَ: فَفَرَجَ عَنْهُمُ الثُّلُثَيْنِ، وَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا بِفَرَقٍ مِنْ ذُرَةٍ فَأَعْطَيْتُهُ، وَأَبَى ذَاكَ أَنْ يَأْخُذَ، فَعَمَدْتُ إِلَى ذَلِكَ الفَرَقِ فَزَرَعْتُهُ، حَتَّى اشْتَرَيْتُ مِنْهُ بَقَرًا وَرَاعِيهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ أَعْطِنِي حَقِّي، فَقُلْتُ: انْطَلِقْ إِلَى تِلْكَ البَقَرِ وَرَاعِيهَا فَإِنَّهَا لَكَ، فَقَالَ: أَتَسْتَهْزِئُ بِي؟ قَالَ: فَقُلْتُ: مَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ وَلَكِنَّهَا لَكَ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا فَكُشِفَ

عَنْهُمْ"[1]

ثانيا: تخريجات الحديث:

أ- في الصحيحين:

يعد هذا الحديث الشريف من الأحاديث المتفق عليها[2] وقد ورد أول ما ورد ـــ بنصه السابق ـــ في صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، في كتاب: "البيوع" باب: "إذا اشترى شيئا لغيره بغير إذنه فرضي"، حديث رقم:" ٢٢١٥" جـ ٣ صـ٧٩.

ثم كرر أربع مرات، أولها: في كتاب: "الإجارة"، باب: "من استأجر أجيرا فترك الأجير أجره، فعمل فيه المستأجر فزاد، أو من عمل في مال غيره، فاستفضل"، حديث رقم:" ٢٢٧٢" جـ٣صـ٩١.

وثانيها: في كتاب: "المزارعة"، باب: "إذا زرع بمال قوم بغير إذنهم، وكان في ذلك صلاح لهم"، حديث رقم:" ٢٣٣٣" جـ٣صـ١٠٥.

وثالثها: في كتاب: "أحاديث الأنبياء"، باب: "حديث الغار"، حديث رقم:" ٣٤٦٥"، جـ٤ ص١٧٢.

وآخرها: في كتاب: "الأدب"، باب: "إجابة دعاء من بر والديه"، حديث رقم:" ٥٩٧٤"، جـ٨صـ٣.

وورد في صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ـــ كاملا ـــ مرة واحدة، في كتاب: "الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار"، باب: "قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال"، حديث رقم: "٢٤٧٣"، جـ٤صـ٢٠٩٩، نشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

وكل روايات الصحيحين هذه اتفقت فيما يأتي:

١- أنها عن سيدنا عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما- باختلاف في الروايات، كما سيظهر لنا في التحليل.

---

(١) – صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب: "البيوع"، بَاب: "إِذَا اشْتَرَى شَيْئًا لِغَيْرِهِ بِغَيْرِ إِذْنِهِ فَرَضِيَ"، حديث رقم: "٢٢١٥"، جـ ٣ صـ٧٩، نشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ.

(٢) – ينظر: اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان لمحمد فؤاد عبد الباقي، كتاب: "الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار"، باب: "قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال، حديث رقم: "١٧٤٥"، نشر: دار إحياء الكتب العربية – محمد الحلبي (بدون طبعة وبدون تاريخ)

٢- أن القصص الثلاثة في الأبوين والمرأة والأجير.

٣- أن القصص الثلاثة جاءت بهذا الترتيب، تقديم قصة الأبوين على قصتي المرأة والأجير، ولم يخالف ذلك إلا الرواية التي وردت في صحيح البخاري كتاب: "أحاديث الأنبياء"، باب: "حديث الغار"، حديث رقم: " ٣٤٦٥"، جـ٤ص١٧٢.؛ فقد قدمت فيها قصة الأجير على قصتي الأبوين والمرأة.

وهذا يدل على أن الرواة إنما تصرفوا في هذا الحديث بالمعنى ليدل على جواز الرواية بالمعنى عند السلف رضي الله عنهم أجمعين.(١)

ب ـ تخريج الحديث في كتب السنة:

روى هذا الحديث الشريف كثير من المحدثين، وفي ذكرهم تأكيد لصحته، والقطع بثبوته، وحسبه أنه متفق عليه؛ فقد رواه كل من:

١- الإمام أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ) في مسنده، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرين، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مسند: "عبد الله بن عمر" حديث رقم: "٥٩٧٣" جـ١٠صـ١٨٠، ومسند أنس، حديث رقم: "١٢٤٥٤" جـ١٩صـ٤٣٨، نشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى١٤٢١هـ ٢٠٠١م.

٢- أبو داود (ت: ٢٧٥هـ) في سننه، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - محمد كامل قره، باب: "في الرجل يتجر في مال الرجل بغير إذنه"، جـ٥صـ٢٦٨، نشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى١٤٣٠هـ٢٠٠٩م.

٣- البزار (ت ٢٩٢هـ) في مسنده، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد، وصبري عبد الخالق الشافعي، مسند: "علي بن أبي طالب رضي الله عنه"، حديث رقم: "٩٠٦" جـ٣صـ١١٩، ومسند النعمان بن بشير، حديث رقم: "٣٢٨٨" جـ٨صـ٢٣٠، ٢٣٢، ومسند ابن عباس رضي الله

(١) - شرح صحيح مسلم لأبي الأشبال حسن الزهيري آل مندوه المنصوري المصري، ٥٣/ ١٢، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.

عنهما، حديث رقم: "٥٧٦٣"، جـ١٢صـ١٥٨، ١٥٩. ومسند أبي حمزة أنس بن مالك، حديث رقم: " ٧١٨٩"، جـ١٣صـ٤٣٦، وحديث رقم:" ٩٤٩٨" جـ١٦صـ٢٩٠، وحديث رقم: "٩٥٥٦" جـ١٧صـ٣٩، نشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى ١٩٨٨م.

٤- وأبو يعلى (ت٣٠٧هـ) في مسنده، تحقيق: حسين سليم أسد، مسند: أنس بن مالك، حديث رقم: "٢٩٣٧"، جـ٥صـ٣١٣، نشر: دار المأمون للتراث - دمشق، الطبعة: الأولى ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م.

٥- وابن حبان (ت ٣٥٤هـ) في صحيحه، بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، كتاب: الرقاق، باب: "الأدعية"، "ذكر الخبر الدال على أن دعاء المرء بأوثق عمله قد يرجى له إجابة ذلك الدعاء"، حديث رقم:"٨٩٧"، جـ٣صـ١٧٨، وكتاب: الرقاق، باب: "الأدعية" "ذكر الخصال التي يرتجى للمرء باستعمالها زوال الكرب في الدنيا عنه"، حديث رقم: "٩٧١"، جـ٣صـ٢٥١، نشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.

٦- والطبراني (ت ٣٦٠هـ) في:

- كتاب الدعاء، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، باب: "تقرب العبد إلى ربه عز وجل عند الدعاء بصالح عمله" صـ٧٤، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٣هـ.

- وكتاب: المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، باب: "من اسمه إبراهيم" حديث رقم: " ٢٣٠٧"، جـ٣صـ٨، نشر: دار الحرمين - القاهرة.

- وفي كتاب: المعجم الكبير، تحقيق: فريق من الباحثين بإشراف وعناية: د/ سعد بن عبد الله الحميد، ود/ خالد بن عبد الرحمن الجريسي، حديث رقم: " ٢٠٦"، جـ٢١صـ١٦٠، الطبعة: الأولى: ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦ م.

- وفي كتاب: مسند الشاميين، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، حديث رقم: "٣١٤٩"، جـ٤صـ٢٢٨، نشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى١٤٠٥ - ١٩٨٤م.

٧- والبيهقي (ت: ٤٥٨هـ) في شعب الإيمان، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، وأشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، جـ٩صـ٣١٥،

نشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٣م.

٨- والبغوي (ت ٥١٦هـ) في شرح السنة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - محمد زهير الشاويش، كتاب: البر والصلة، باب: بر الوالدين، حديث رقم: "٣٤٢٠"، جـ ١٣ صـ ٧، ٨، ٩، نشر: المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م.

وكل هذه الروايات اختلفت فيما يأتي:

أولًا: في الراوي الأول للحديث؛ حيث كان على النحو الآتي:

١ - عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما:

كما عند البزار[١] وأبي داود[٢]، والبيهقي[٣]، والإمام أحمد بن حنبل في إحدى روايتيه[٤]، وابن

(١) - ينظر: مسند البزار، مسند: "ابن عباس رضي الله عنهما" حديث رقم: "٥٧٦٣"، جـ١٢صـ١٥٩.

(٢) - ينظر: سنن أبي داود، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره، جـ٥صـ٢٦٨، نشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م.

(٣) - ينظر: شعب الإيمان للبيهقي، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور/ عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، جـ٩صـ٣١٥، نشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م.

(٤) - ينظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرين، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مسند: "عبد الله بن عمر رضي الله عنهما" حديث رقم: "٥٩٧٣" جـ١٠صـ١٨٠، نشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.

حبان في إحدى روايتيه[١]، والطبراني في روايتين من رواياته.[٢] والبغوي.[٣]

٢- أبو هريرة رضي الله عنه:

كما عند البزار في روايتين من رواياته[٤] وعند ابن حبان في إحدى روايتيه[٥] والطبراني في إحدى رواياته[٦]

٣- أنس بن مالك رضي الله عنه:

كما عند الإمام أحمد في إحدى روايتيه.[٧] والبزار في إحدى رواياته[٨] وأبي يعلى في مسنده

(١) - ينظر: صحيح ابن حبان، بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، بَاب: "الْأَدْعِيَةِ"، "ذِكْرُ الْخَبَرِ الدَّالِّ عَلَى أَنَّ دُعَاءَ الْمَرْءِ بِأَوْثَقِ عَمَلِهِ قَدْ يُرْجَى لَهُ إِجَابَةُ ذَلِكَ الدُّعَاءِ"، حديث رقم: "٨٩٧"، جـ ٣صـ ١٧٨، نشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.

(٢) - ينظر: كتاب الدعاء للطبراني، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، صـ ٨١، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٣هـ. ومسند الشاميين للطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، جـ ٤صـ ٢٢٨، نشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٥ - ١٩٨٤م.

(٣) - ينظر: شرح السنة للبغوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - محمد زهير الشاويش، كتاب: البر والصلة، باب: بر الوالدين، حديث رقم: "٣٤٢٠"، نشر: المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

(٤) - ينظر: مسند البزار، مسند أبي حمزة أنس بن مالك، حديث رقم: "٩٤٩٨"، جـ ١٦، صـ ٢٩٠، وحديث رقم: "٩٥٥٦" جـ١٧صـ٣٩.

(٥) - ينظر: صحيح ابن حبان، بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، بَاب: "الْأَدْعِيَةِ"، "ذِكْرُ الْخِصَالِ الَّتِي يُرْتَجَى لِلْمَرْءِ بِاسْتِعْمَالِهَا زَوَالُ الْكَرْبِ فِي الدُّنْيَا عَنْهُ"، حديث رقم: "٩٧١"، جـ٣صـ٢٥١.

(٦) - ينظر: كتاب الدعاء للطبراني، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بَابُ تَقَرُّبُ الْعَبْدِ إِلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَ الدُّعَاءِ بِصَالِحِ عَمَلِهِ، حديث رقم: ١٩٣، صـ٧٨، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٣هـ.

(٧) - ينظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل، مسند: "أنس بن مالك رضي الله عنه" حديث رقم: "١٢٤٥٤" جـ١٩صـ٤٣٨.

(٨) - ينظر: مسند البزار، مسند: أبي حمزة أنس بن مالك، حديث رقم: "٧١٨٩" جـ١٣صـ٤٣٦.

٤- علي بن أبي طالب كرم الله وجهه:

كما عند البزار في إحدى رواياته[١]، عند الطبراني في إحدى رواياته[٢]

٥- النعمان بن بشير رضي الله عنه:

كما عند البزار في روايتين من رواياته[٣] وعند الطبراني في خمس روايات من رواياته.[٤]

٦- عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه:

كما عند الروياني (ت ٣٠٧) في مسنده.[٥] وعند الطبراني في إحدى رواياته.[٦]

٧- عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه:

كما عند الطبراني في إحدى رواياته.[٧]

٨- عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما:

---

(١) - ينظر: مسند البزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد، وصبري عبد الخالق الشافعي، مُسْنَد: "عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ"، حديث رقم: "٩٠٦" جـ٣صـ١١٩، نشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى ١٩٨٨م.

(٢) - ينظر: كتاب الدعاء، بَاب: "تَقَرُّب الْعَبْدِ إِلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَ الدُّعَاءِ بِصَالِحِ عَمَلِهِ" صـ٧٤.

(٣) - ينظر: مسند البزار، مسند: "النعمان بن بشير"، حديث رقم: "٣٢٨٨"، جـ٨صـ٢٣٠، حديث رقم: "٣٢٨٩"، جـ٨صـ٢٣٢.

(٤) - ينظر: المعجم الأوسط للطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني جـ٣صـ٨، نشر: دار الحرمين - القاهرة.

والمُعْجَمُ الكَبِير للطبراني، "مُسْنَد النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ"، جـ٢١صـ ١٢٠، ١٢٩، ١٦٠، ١٦٣، تحقيق: فريق من الباحثين بإشراف وعناية: د/ سعد بن عبد الله الحميد ود/ خالد بن عبد الرحمن الجريسي، الطبعة: الأولى: ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.

(٥) - ينظر: مسند الروياني، لأبي بكر محمد بن هارون الرُّوياني، تحقيق: أيمن علي أبو يماني، جـ١صـ١٦٧، نشر: مؤسسة قرطبة - القاهرة، الطبعة: الأولى ١٤١٦هـ.

(٦) - ينظر: الدعاء للطبراني صـ٧٩.

(٧) - ينظر الدعاء للطبراني حديث رقم: ١٩٦، صـ ٨٠.

كما عند الطبراني في إحدى رواياته.[١]

٩- عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

كما عند البزار في إحدى رواياته.[٢]

ثانيًا: عدم الالتزام بالقصص الثلاثة (الأبوين والمرأة والأجير) حيث وجدنا عند الروياني في مسنده.[٣]، والطبراني في إحدى رواياته.[٤] الذئب مكان الأجير.

ثالثا: عدم الالتزام بالترتيب الشائع للقصص الثلاثة في الصحيحين (الأبوين والمرأة والأجير)؛ حيث قدم البزار في إحدى رواياته[٥]ابن حبان ـ في إحدى روايتيه ـ المرأة على الأبوين والأجير[٦]، وقدم الإمام أحمد بن حنبل ـ في إحدى روايتيه الأجير على المرأة[٧]، وقدم الروياني في مسنده[٨]، والطبراني ـ في إحدى رواياته ـ المرأة على الأبوين والذئب[٩]، وقدم البزار[١٠] والطبراني ـ في إحدى

(١) - ينظر: الدعاء للطبراني حديث رقم: ٢٠١، صـ٨١.

(٢) - ينظر: مسند البزار، مسند: ابن عباس رضي الله عنهما، حديث رقم: "٥٧٦٣"، جـ١٢صـ١٥٨، ١٥٩.

(٣) - ينظر: مسند الروياني، لأبي بكر محمد بن هارون الرُّوياني، تحقيق: أيمن علي أبو يماني، جـ١صـ١٦٧، نشر: مؤسسة قرطبة – القاهرة، الطبعة: الأولى ١٤١٦هـ.

(٤) - ينظر: الدعاء للطبراني، حديث رقم: ١٩٥، صـ٧٩.

(٥) - ينظر: مسند البزار، مسند: "النعمان بن بشير" حديث رقم: " ٣٢٨٨"، جـ٨صـ٢٣٠.

(٦) - ينظر: صحيح ابن حبان، بَاب: "الْأَدْعِيَةِ"، "ذِكْرُ الْخِصَالِ الَّتِي يُرْتَجَى لِلْمَرْءِ بِاسْتِعْمَالِهَا زَوَالُ الْكَرْبِ فِي الدُّنْيَا عَنْهُ"، حديث رقم: "٩٧١"، جـ٣صـ٢٥١.

(٧) - ينظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل، مسند: "أنس بن مالك رضي الله عنه" حديث رقم: "١٢٤٥٤" جـ١٩صـ٤٣٨.

(٨) - ينظر: مسند الروياني، لأبي بكر محمد بن هارون الرُّوياني، تحقيق: أيمن علي أبو يماني، جـ١صـ١٦٧، نشر: مؤسسة قرطبة – القاهرة، الطبعة: الأولى ١٤١٦هـ.

(٩) - ينظر: الدعاء للطبراني صـ٧٩.

(١٠) - ينظر: مسند البزار، مُسْنَد: "عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ"، حديث رقم: "٩٠٦" جـ٣صـ١١٩.

رواياته ـــ المرأة على الأجير والأبوين[١]، وقدم الطبراني ـــ في بعض رواياته ـــ الأجير على المرأة والأبوين[٢]

"وفي اختلافهم دلالة على أن الرواية بالمعنى عندهم سائغة شائعة وأن لا أثر للتقديم والتأخير في مثل ذلك"[٣]

ثالثًا: بين الرقيم والغار:

يرى كثير من العلماء[٤] أن الغار الذي دخله هؤلاء الثلاثة، وأصابهم فيه ما أصابهم، هو الذي يسمى بالرقيم، وهو الذي ذكره القرآن الكريم في قصة أصحاب الكهف في قوله تعالى: { أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ

(١) - ينظر الدعاء للطبراني صـ ٨٠.

(٢) - ينظر: المعجم الأوسط للطبراني، جـ٣صـ٨. والمُعْجَمُ الكَبِير للطبراني، "مُسْنَد النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ"، جـ٢١صـ ١٢٠، ١٢٩، ١٦٠، ١٦٣.

(٣) - فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، تعليق العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، جـ٦صـ٥١١، نشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ.

(٤) - ينظر: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني، جـ٤صـ١٨١ إلى صـ١٨٣، نشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة: السابعة١٣٢٣هـ. وعمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني، جـ١٦صـ٥١، نشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت. والدعاء للطبراني، بَابُ تَقَرُّبُ الْعَبْدِ إِلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَ الدُّعَاءِ بِصَالِحِ عَمَلِهِ، حديث رقم: "١٩٠". والمعجم الأوسط للطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، جـ٣صـ٨، نشر: دار الحرمين - القاهرة. والمعجم الكبير للطبراني، جـ٢١صـ١٦٠، ١٦٣، وحاشيته السندي على "مسند الإمام أحمد"، حققه وضبط نصه وعلق عليه د/ أبو معاذ طارق عوض الله، حديث رقم: "١٨٤١٧"، جـ٤صـ٣٤٠، نشر: دار المأثور للنشر والتوزيع، ١٤٣١هـ والكوكب الوهَّاج والرَّوض البَهَّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج لمحمد الأمين بن عبد الله الأُرَمي العَلَوي، مراجعة: لجنة من العلماء برئاسة البرفسور هاشم محمد علي مهدي، جـ٢٥صـ١٧٢، نشر: دار المنهاج - دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م. والسُّمُوُّ الرُّوحِيُّ الْأَعْظَمُ وَالْجَمَالُ الْفَنِّيُّ فِي الْبَلَاغَةِ النَّبَوِيَّة للرافعي، تحقيق: أبي عبد الرحمن البحيري وائل بن حافظ بن خلف، ص٣٢، نشر: دار البشير للثقافة والعلوم، الطبعة: الأولى.

أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا}(الكهف: ٩)

واستدلوا على ذلك بما أخرجه البزار[١] والطبراني[٢] بإسناد حسن عن النعمان بن بشير أنه سمع النبي ـــ ﷺ ـــ يذكر الرقيم قال: انطلق ثلاثة فكانوا في كهف؛ فوقع الجبل على باب الكهف فأوصد عليهم، الحديث. ففيه أن الرقيم المذكور في الآية الكريمة هو الغار الذي أصاب فيه الثلاثة ما أصابهم.

وأن البخاري عقب قصة أصحاب الكهف بحديث الغار؛ فهذا الحديث يعد تفسيرا من النبي – ﷺ – للرقيم الذي ورد ذكره في الآية الكريمة، ويريحنا من الخلاف والاضطراب الكثير المبثوث في كتب التفسير حول الرقيم.

وبعض العلماء[٣] يرى أن هذا الغار غير ذلك الغار، واستدل على ذلك باختلاف القصتين، واختلاف أحداثهما، وأن الحديث الذي رواه البزار والطبراني ليس فيه ما يدل على أن هذا الغار هو غار أصحاب الكهف.

والبحث يرجح الرأي الأول؛ لقوة أدلته، ولأنه لم يقل باتحاد القصة والأحداث وإنما قال باتحاد الغار، واختلاف القصة والأحداث.

رابعا: لغة الحديث:

حديث أصحاب الغار قد لا يذكره الذاكرون إلا في معرض الحديث عن الإخلاص وجواز التوسل بصالح الأعمال، لكن النظر فيه بعين البصيرة، والاعتبار.. يفجر فيه معاني ليست كالمعاني، وإشراقات

(١) – ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، جـ٦ صـ٥٠٦، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني، جـ١٦ صـ٥١، ولم أجده في مسنده.

(٢) – ينظر: الدعاء للطبراني، بَابُ: "تَقَرُّبُ الْعَبْدِ إِلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَ الدُّعَاءِ بِصَالِحِ عَمَلِهِ"، حديث رقم: "١٩٠" صـ٧٦. والمعجم الأوسط للطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، جـ٣صـ٨، نشر: دار الحرمين – القاهرة. والمعجم الكبير للطبراني، جـ٢١صـ١٦٠، ١٦٣،

(٣) – صحيح القصص النبوي، للدكتور/ عمر سليمان عبد الله الأشقر، صـ٢٠٦، ٢٠٧، نشر: دار النفائس الأردن، الطبعة: السابعة ٢٠٠٧م.

ليست كالإشراقات.

"ولغة الحديث هي اللغة المحكمة، التي توصف، بقوة البناء، وجزالة المفردة، وحسن الإفهام والإقناع، وكمال التأثير والمهابة، فأسلوبه ـ ﷺ ـ هو البلاغة القريبة البعيدة، والسهل الممتنع الذي تراه كالشمس قريبا ضوؤها، بعيدا مكانها، وهذا ــ عند البلغاء – أجود الكلام، أعني: السهل الممتنع، وهو الذي يظن كل أحد أنه يقول مثله، فإذا رامه تعذر عليه"(١)

والحديث الشريف وضع بين أيدينا صورة واقعية مؤثرة، في عرض قصصي جميل لثلاثة أناس تقطعت بهم سبل النجاة من هذه الشدة التي نزلت بهم؛ حيث سد عليهم الغار بتلك الصخرة التي لا يستطيعون زحزحتها عن فم الغار، وطمس المطر آثار سيرهم، فلجأوا إلى مناجاة الله تعالى بصالح أعمالهم.

ولهذه القصة دلالات تربوية متعددة؛ فهناك دروس تؤخذ من مجملها، وهناك دروس تؤخذ وتستفاد من تفاصيل المواقف والأحداث فيها.

مفهوم القصة:

تدور مادة: (ق ــ ص ــ ص) في اللغة حول معان كثيرة أقربها إلى ما نحن بصدد الحديث عنه التتبع والحفظ والرواية.

فالقصُّ اتِّباع الأثر. وفِعْلُ الْقَاصِّ إِذا قَصَّ القِصَصَ.

وَالْقَاصُّ: الَّذِي يأْتي بالقِصّة مِنْ فَصِّها. يُقَالُ: قَصَصْت الشَّيْءَ إِذا تتبّعْت أَثره شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} (القصص:١١)؛ أَي اتّبعي أَثَرَه وتتبعي خبره.

وقَصَّ آثارَهم يَقُصُّها قَصّـًا وقَصَصـًا وتَقَصّصَها: تَتَبَّعَهَا بِاللَّيْلِ، وَقِيلَ: هُوَ تَتَبُّعُ الأَثر أَيَّ وَقْتَ كَانَ. قَالَ تَعَالَى: {فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا} (الكهف:٦٤) أَي رَجَعا مِنَ الطَّرِيقِ الَّذِي سَلَكَاهُ يَقُصّان الأَثر أَي

(١) ـ معالم البيان في الحديث النبوي، للدكتور/ عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر، صـ٣٨، نشر: مكتبة دار المنهاج بالرياض، الطبعة الأولى ١٤٣٥هـ.

يَتَّبِعَانِهِ.

يقول أُمية بْنُ أَبي الصَّلْتِ:

قَالَتْ لأُخْتٍ لَهُ: قُصِّيهِ عَنْ جُنُبٍ ... وَكَيْفَ يَقْفُو بِلَا سَهْلٍ وَلَا جَدَدِ؟[1]

والقِصّة: الْخَبَرُ وَهُوَ القَصَصُ. وَقَصَّ عَلَيَّ خبَره يقُصُّه قَصّاً وقَصَصاً: أَوْرَدَه. والقَصَصُ: الخبرُ المَقْصوص، بِالْفَتْحِ، وُضِعَ مَوْضِعَ الْمَصْدَرِ حَتَّى صَارَ أَغْلَبَ عَلَيْهِ. والقِصَص، بِكَسْرِ الْقَافِ: جَمْعُ القِصّة الَّتِي تُكْتَبُ.

وتقَصّصَ كلامَه: حَفِظَه. واقْتَصَصْت الْحَدِيثَ: رَوَيْته عَلَى وَجْهِهِ.[2]

والقصة في الإطار المعرفي: هي: حدث تاريخي مقتطع من الأحداث الإنسانية ذات الأغراض السامية، والغايات النبيلة التي من حقها أن تروى وتحفظ للفت الأذهان والأفهام إلى مواطن العظة والعبرة في سجل الأحداث التاريخية الغابرة.

(١) – ديوانه، جمعه ووقف على طبعه: بشير بموت، صـ٢٦، نشر: المكتبة الأهلية ١٩٣٤م.

(٢) – لسان العرب مادة: (ق ـ ص ـ ص)، جـ٧صـ٧٣ وما بعدها.

المبحث الأول

خصائص النظم النبوي في فضيلة التوسل بالعمل الصالح

بدأت القصة بالتركيز على عرض الظروف والملابسات، التي شاركت في صنع الأحداث، أو في توجيهها وجهة معينة، فجعلت المتلقي يحس أن الحدث لم ينشأ من فراغ، ولم يتحرك في فراغ.

«خَرَجَ ثَلاَثَةُ نَفَرٍ يَمْشُونَ فَأَصَابَهُمُ المَطَرُ، فَدَخَلُوا فِي غَارٍ فِي جَبَلٍ، فَانْحَطَّتْ عَلَيْهِمْ صَخْرَةٌ، قَالَ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: ادْعُوا اللهَ بِأَفْضَلِ عَمَلٍ عَمِلْتُمُوهُ»

المبحث الأول: خصائص النظم النبوي في فضيلة التوسل بالعمل الصالح

بدأ الحديث الشريف بتلك الجملة الخبرية، وهي قوله ﷺ «**خَرَجَ ثَلاَثَةُ نَفَرٍ يَمْشُونَ فَأَصَابَهُمُ المَطَرُ**»؛ وذلك لإبراز أمر نفساني، وهو قصد الحكاية، وتصور النسبة بما هي حقيقة واقعة. وهؤلاء الثلاثة خرجوا لأداء عمل صالح فيه رضا الله، كما وضحت ذلك بعض الروايات[١] "يرتادون لأهلهم"، أي يطلبون لهم المرعى والمنزل الطيب، من راد أهله منزلًا وكلأً، وراد لهم تلمسه، وطلبه وتردد عليه.[٢] وفيه دلالة على الوقوف على هذا الأمر والتردد عليه، ولزوم السجية المعهودة في غير انزعاج منهم.

ونكر المسند إليه «**ثَلاَثَةُ نَفَرٍ**» لأن المقصود بالحكم أفراد غير معينين، لعدم تعلق الغرض بتعيينهم، وذكرت بعض الروايات[٣] أن هؤلاء الثلاثة من بني إسرائيل، والإضافة فيه بيانية، بمعنى من؛ لأن

---

(١) - ينظر: صحيح ابن حبان، بَاب: "الْأَدْعِيَة" "ذِكْرُ الْخِصَالِ الَّتِي يُرْتَجَى لِلْمَرْءِ بِاسْتِعْمَالِهَا زَوَالُ الْكَرْبِ فِي الدُّنْيَا عَنْهُ"، حديث رقم: "٩٧١"، جـ٣صـ٢٥١، ومسند الإمام أحمد بن حنبل، مسند: "أنس بن مالك" حديث رقم: "١٢٤٥٤" جـ١٩صـ٤٣٨. ومسند الروياني، جـ١صـ١٦٧. والدعاء للطبراني، حديث رقم: "١٩٥"، صـ٧٩، حديث رقم: "١٩٧"، صـ٨١. والمُعْجَم الكَبِير للطبراني، "مُسْنَد النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ"، حديث رقم: "١٤٦، جـ٢١صـ ١٢٠، ١٢٩، ١٦٠، ١٦٣، تحقيق: فريق من الباحثين بإشراف وعناية: د/ س

(٢) - ينظر: لسان العرب مادة: "ر-و-د" جـ٣صـ١٨٧.

(٣) - ينظر: مسند الروياني، جـ١صـ١٦٧، والدعاء للطبراني، باب: " تَقَرُّبُ الْعَبْدِ إِلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَ الدُّعَاءِ بِصَالِحِ عَمَلِهِ"، حديث رقم: "١٩٥"، صـ٧٩.

الثلاثة تكون من النفر ومن غيره؛ فبين بإضـافته إلى النفر، وإنما جاء النفر تمييزًا للثلاثة؛ لأنه في معنى الجماعة، كأنه قال: ثلاثة أنفس؛ إذ "النفر": ـ بفتحتين ـ جماعة الرجال من ثلاثة إلى عشرة، وقيل إلى سبعة، ولا يقال نفر فيما زاد على العشرة.(١)

والتعبير بالنفر دون الرهط وما شـابهه يدل على عدم وجود قرابة بينهم؛ فلفظ النفر ينفرد بدلالته على جماعة الذكور الذين ينفرون في الحرب، ولا يشترط أن يكونوا من عشيرة الرجل وأقاربه.

بخلاف الرهط الذي ينفرد بدلالته على قلة العدد، ودلالته على القرابة القريبة.(٢)

وجاءت جملة «**يَمْشُونَ**» لتبين هيئة هؤلاء النفر الثلاثة عند خروجهم.

وبخلو جملة الحال من الواو يكون الحديث قد ربط الفعل الذي وقع حالًا «يَمْشُونَ» بالفعل الذي في أول الجملة «خَرَجَ» في إثبات واحد، وكأنه قال: خَرَجَ ثَلاَثَةُ نَفَرٍ ماشين، في أنه أثبت خروجًا في مشي، وهذا أدعى إلى خروجهم.

يقول الشيخ عبد القاهر- رحمه الله- وهو بصدد حديثه عن جملة الحال:(اعلم أن كل جملة وقعت حالًا، ثم امتنعت من "الواو" فذاك لأجل أنك عمَدْتَ إلى الفعل الواقع في صدرها، فضممته إلى الفعل الأول في إثباتٍ واحدٍ، وكل جملة جاءت حالًا ثم اقتضـت "الواو" فذاك لأنك مسـتأنف بها خبرًا وغير قاصدٍ إلى أن تَضُمَّها إلى الفعل الأول في الإثبات.

تفسير هذا أنك إذا قلت:(جاءني زيد يسرع) كان بمنزلة قولك: (جاءني زيد مسرعًا)، في أنك تثبت مجيئًا في إسـراع، وتصـل أحد المعنيين بالآخر، وتجعل الكلام خبرًا واحدًا، وتريد أن تقول: جاءني كذلك، وجاءني بهذه الهيئة.) (٣)

---

(١) - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للفيومي، مادة: "ن ـ ف ـ ر" جـ٢صـ٦١٧، نشر: المكتبة العلمية - بيروت.

(٢) - ينظر: معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم للدكتور/ محمد محمد داود، صـ٢٧٠وما بعدها، نشر: دار غريب للطباعة والنشر ٢٠٠٨م.

(٣) دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، صـ٢٠٨، نشر: مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة، الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.

وفصلت هذه الجملة عما قبلها لكمال الاتصال؛ حيث إن جملة «**يَمْشُونَ**» جاءت مبينة وموضحة معنى الجملة الأولى، وفي هذا البيان وذلك الإيضاح " تنشيط للنفس وإيقاظ لها؛ لأنها حين تتلقى كلامًا ملفوفًا بشيء من الغموض تشتاق إلى بيانه، وتستشرف في التعرف على وجهه، فإذا جاء البيان صادف نفسًا يقظة متطلعة، فيتمكن الكلام منها"(١)

«**فَأَصَابَهُمُ الْمَطَرُ**» عطفه بالفاء على خرج ثلاثة للدلالة على معاقبة المطر للخروج؛ فبمجرد خروجهم أصابهم المطر.

وأفاد التعبير بـ«**أَصَابَهُمُ**» الدلالة على تمكن المطر منهم، وإجباره لهم على الدخول في الغار.

وجاء التعبير بهذا اللفظ «**أَصَابَهُمُ**» مناسبًا للسياق فقد جسد صوت التفخيم (الصاد) بإيقاعه الضخم ضخامة هذا الحدث وعظمته؛ بسبب ما ترتب عليه.

إضافة إلى ما في هذا الحرف من استعلاء صَوَّر غلبة المطر هؤلاء النفر الثلاثة، وإجباره لهم على الدخول في الغار.

هذا مع ما أفاده حرف المد ودلالته على غزارة المطر.

كما أسهم صوت الباء وهو صوت انفجاري شديد، في إعطاء شحنة انفعالية؛ ومن ثم جاء اللفظ منسجمًا مع المعنى الذي جاء به، وأن هذا الانسجام بين اللفظ والمعنى أعطى للنص الشريف كاملًا بعدًا جماليًا محببًا لدى المتلقي، وقدرة هائلة على التأثير فيه.

وفي رواية للبخاري (أَخَذَهُمُ الْمَطَرُ)(٢) بإسقاط الفاء لأنه جزاء بينما، أي: نزل عليهم بكثرة، مما ألجأهم إلى البحث عما يكنهم.

والأَخْذ: خِلَافُ الْعَطَاءِ، وَهُوَ أَيضًا التَّنَاوُلُ. أَخذت الشَّيْءَ آخُذُه أَخذاً: تَنَاوَلْتُهُ؛ وأَخَذَه يأْخُذه

(١) – دلالات التراكيب للدكتور/ محمد أبو موسى، صـ٣٠٣، نشر: مكتبة وهبة، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م.

(٢) – صحيح البخاري، باب: إِذَا زَرَعَ بِمَالِ قَوْمٍ بِغَيْرِ إِذْنِهِمْ، وَكَانَ فِي ذَلِكَ صَلاَحٌ لَهُمْ، حديث رقم: (٢٣٣٣) جـ٣صـ١٠٥.

أَخْذاً[1] كقوله تعالى:(قَالَ مَعَاذَ اللهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ)(يوسف:٧٩) بالقهر والشدة كقولنا: فلان أخذته الحمى، وقوله تعالى:(وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ)(هود:٦٧) وقوله: (فَأَخَذَهُ اللهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى)(النازعات:٢٥)

وفي قوله: (أَخَذَهُمُ الْمَطَرُ) استعار النظم النبوي الأخذ للنزول، استعارة تبعية، بجامع التمكن من الشيء في كل، للمبالغة في نزول المطر، وإجباره لهم للدخول في الغار.

وآثر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ التعبير بلفظة «**الْمَطَرُ**» دون الغيث؛ لأن لفظة "الغيث" تستخدم في مواطن الخير والرحمة دائمًا؛ لما فيها من معنى الإغاثة، كما في قوله تعال: {إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}(لقمان:٣٤)، وقوله تعالى:{وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ}(الشورى:٢٨)

أما لفظة «**الْمَطَرُ**» فإنها تستخدم في مواطن الشر والعقاب والأذى، كما في قوله تعالى: {فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ}(هود:٨٢)، وقوله تعالى: {وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ}(الشعراء:١٧٣)، فالمطر هنا: حجارة من السماء أهلكت هؤلاء الطغاة المجرمين[2]

واللام فيه لتعريف الحقيقة، ويقال لها: لتعريف الماهية[3]

وتكمن بلاغتها في الدلالة على حقيقة الشيء وماهيته، مع الإغناء عن تفصيل ما يتعذر تفصيله.

وقدم المفعول به على الفاعل «**فَأَصَابَهُمُ الْمَطَرُ**»؛ لأنه أهم، والعناية به أتم؛ وذلك لأن غرض الكلام

---

(١) – لسان العرب مادة: (أ ـ خ ـ ذ)، جـ٣صـ٤٧٢.

(٢) – ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، جـ٦صـ٢٦١، نشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت. ومعجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم صـ٣٥٤.

(٣) – الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي، تحقيق: دكتور/ فخر الدين قباوة، والأستاذ محمد نديم فاضل، صـ١٩٤، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤١٣هـ١٩٩٢م.

ومقصوده معرفة من وقع عليه الفعل، لا من وقع منه؛ فهم المعنيون بالإصابة دون غيرهم؛ فدل هذا التقديم على تقوية الحكم وإفادة تقريره.

ووقوع الفاعل «**المَطَرُ**» بعد المفعول كأنه يلاحقهم، ويطاردهم، ولا ينفك عنهم؛ فالمفعول ــ الضمير العائد على أولئك النفر الثلاثة ــ بعد أن كانوا العنصر الفاعل في الحياة أصبحوا فضلة لا أثر لهم في الحياة، وأصبح المطر هو الذي يسيطر عليهم، ويفعل بهم ما قُدِّر لهم.

«**فَدَخَلُوا فِي غَارٍ فِي جَبَلٍ**» أي: في غار كائن في جبل.

عطفه بالفاء على «**فَأَصَابَهُمُ المَطَرُ**» للدلالة على معاقبة الدخول لنزول المطر؛ فبمجرد أن أصابهم المطر دخلوا في الغار.

وفي هذه الفاء إيذان بسببية الإصابة بالمطر «**فَأَصَابَهُمُ المَطَرُ**» للدخول في الغار.

فالفاء في قوله: «**فَدَخَلُوا فِي غَارٍ فِي جَبَلٍ**» دالة على ما يلي:

١- التفريع.

٢- السببية.

٣- الربط.

والتعبير بـــ «**فِي**» مشعر بالفزع والهلع الذي حل بهم وباحتواء الغار لهم، وإحاطته بهم، وتنكيره للتفخيم والتهويل، ووصفه بأنه في جبل لبيان أنه محصن بعيد عن النصير ولا حيلة لهم باختراقه.

والغار: مَغارةٌ فِي الْجَبَلِ كالسَّرْب، وَقِيلَ: الغارُ كالكَهْف فِي الْجَبَلِ، وَالْجَمْعُ الغِيرانُ.(١)

وجاء تقييد الغار بكونه «**فِي جَبَلٍ**» مع أن الغار لا يكون إلا في الجبل للدلالة على انحصار سبل النجاة والخروج من هذا المأذق.

والفائدة في ذكر هذا القيد كالفائدة في قوله:{فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ}(الحج:٤٦) وذلك ما يحصل للسامع من زيادة التصور والتجلي للمدلول عليه؛ لأنه إذا سمع به صور لنفسه جبلًا يشتمل على غار، فكان أسرع إلى التأكد من انحصار سبل النجاة والخروج من هذا

(١) - لسان العرب مادة: (غ ـ و ـ ر)، جـ٥صـ٣٥.

المأذق.

على أن هذا القيد «**فِي جَبَلٍ**» قد جاء متمكنًا في موضعه من السياق أشد تمكن، فالغار إذا كان في الجبل إنما يبدد كل أمل، ويزيل كل وهم قد يعلق بالأذهان في عودة هؤلاء النفر مرة أخرى.

فـــ"في هذه القصة يبدأ الرسم القصصي في إبراز ملامح هذا المكان الذي أصبح لهم قبرًا، عندما انحدرت صخرة من أعلى الجبل وسدت مخرجه، وأصبح من في الغار يعيش في الفزع والهلع، وبات هذا الحيز يستفز قلقهم وحزنهم، ولا حيلة لهم باختراقه"[١]

والمكان كإطار يؤدي إلى جانب عنصر الزمان دورًا حيويًا، وبارزًا في الأعمال القصصية، بحيث يضخم لدينا عنصر الإحساس الجمالي وعنصر التشويق وعنصر التذوق وعنصر الاستجابة الفنية، حيال بناء قصصي محكم، ولم يهتم الخطاب القصصي النبوي بالمكان من حيث هو حيز مادي محسوس إلا لكونه أحد الموضوعات المهمة التي ارتكز عليها السرد النبوي- بوصفه مكانًا طبيعيًا يأتي صريحًا مباشرًا، كما هو حال الأماكن المعلومة كسدرة المنتهى، المسجد الحرام، المسجد الأقصى، مجمع البحرين، الشام... وغيرها، والخطاب النبوي حتى وإن تخطى الإشارة المكانية- حين لا يكون لذكرها وظيفة - فإنه يبقى موصولًا بالمكان ومصهورًا فيه بما يشيعه من إحساس ثر بجمالية القصة.

فالمكان في القصة الحديثية قضية مسلمة بها، فهو للأحداث أشبه بالوعاء الحامل لها[٢] .

به تتشكل الأحداث وتبرز معالمها ونتعرف إليه من خلال ملامحه وأبعاده الجغرافية ومن حركة الشخصيات فيه: "ومن خلال الحركة فيه، والحياة به، ومن خلال التعامل معه بوصفه بديهية كحقيقة

(١) - بنية الزمان والمكان في قصص الحديث النبوي الشريف، للباحثة سهام سديرة، صـــ١٠٩، جامعة منتوري- قسنطينة كلية الآداب واللغات قسم اللغة العربية وآدابها ٢٠٠٥/ ٢٠٠٦م

(٢) - ينظر: القصص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم ويوسف، لعبد الكريم الخطيب، صـ٩١، نشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ١٩٧٥م.

من حقائق الحياة إن لم يكن هو حقيقة الحياة الأساسية"[١]

والمكان بوصفه مأوى الإنسان له أهميته التي تكمن "في كونه هو - إن صح التعبير- مأوى الحياة أي مأوى الزمن ومسقط هويته ودلالته فعلًا وفاعلًا ومنفعلًا"[٢] مرشحًا نفسه للقيام بدور الحماية للإنسان.

ويعد التحام الأحداث القصصية بالأمكنة والشخصيات وبقية المشكلات السردية الأخرى من أبرز خواص القصة الحديثية الفنية"[٣]

وإذا ذهبنا نتلمس علاقة الشخصية بالأمكنة فإننا نرى العلاقة تبدو "خاصة وعميقة، لأنها علاقة يعانيها الجسد وتكابدها الروح"[٤] بحيث يغدو المكان مجال إيواء واستقرار تمارس فيه الشخصية تفاعلها في الحياة.

حيث يعكس ذلك المكان البعد النفسي لهؤلاء الفتية، والذي ما فتئ يسقط مشاعر التذمر والقلق والإحباط أمام إرادة الطبيعة فأصبح ذلك المكان - الغار- مركز إسقاط نفسي للفتية بعد دخولهم الغار وانطباق الصخرة عليهم وأصبحوا في حال أشد من الحال التي كانوا عليها؛ لأن البيئة التي أووا إليها أصبحت تعكس هلاكًا محققًا، ومن هنا حاول هؤلاء الفتية التملص من سيطرة الطبيعة وهيمنتها حينما أدركوا أنه لا سبيل لنجاهم إلا بالله -جل وعلا- الذي يعلم بمكان وجودهم.[٥]

(١) - الحداثة والتجسيد المكاني للرؤية الروائية رواية " مالك الحزين نموذجا" لصبري حافظ، صـ ١٧٢، مجلة فصول الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد ٤ سبتمبر ١٩٨٤، المجلد ٤.

(٢) - الدلالة المفارقة للمكان الروائي عند عبد الحميد بن هدوقة، لعثمان بدري، مجلة اللغة والآداب، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، العدد ١٣ ديسمبر ١٩٩٨م، صـ ٦١.

(٣) - بنية الزمان والمكان في قصص الحديث النبوي الشريف صـ١٠٠.

(٤) - السرد الروائي في أعمال إبراهيم نصر الله، لهيام شعبان، صـ ٢٩٢.

(٥) - بنية المكان صـ١٢٢.

«**فَانْحَطَّتْ عَلَيْهِمْ صَخْرَةٌ**» أي سقطت (على فم غارهم)، وفي رواية للبخاري[١] ومسلم[٢](فَانْحَطَّتْ عَلَى فَمِ غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِنَ الجَبَلِ)

والإتيان بالفاء للإشعار بسرعة انحطاط الصخرة عقيب سقوط المطر مباشرة دون وجود زمن ولو قليل للخروج من الغار عند انتهاء المطر.

وفي هذه الفاء إيذان بسببية انحطاط الصخرة «**فَانْحَطَّتْ عَلَيْهِمْ صَخْرَةٌ**» لنزول المطر «**فَأَصَابَهُمُ الْمَطَرُ**».

فالفاء في قوله: «**فَانْحَطَّتْ عَلَيْهِمْ صَخْرَةٌ**» دالة على ما يلي:

١- التفريع.

٢- السببية.

٣- الربط.

٤- التعقيب.

وبتحليل أصوات هذه اللفظة يظهر لنا مدى ملاءمتها للسياق الذي وردت فيه؛ حتى يكاد يسمع صوت انحطاط الصخرة من أصوات حروف الفعل وجرسها.

فالهمزة صوت انسدادي، إذ تُسَد عند النطق به فتحة المزمار بحيث لا يُسمَح للهواء المزفور بالمرور من الحنجرة[٣] كما أن النون اللاحقة لها هي الأخرى من الأصوات الانسدادية، فعند النطق بها يلتصق طرف اللسان بأصول الأسنان العليا واللثة فيمنع الهواء من الخروج[٤] وأن هذا الانسداد الذي تكرر مرتين متواليتين يعطيه قوة فيجعل المتلقي يستشعر شدة انسداد فم الغار على هؤلاء النفر الثلاثة.

هذا إلى جانب ما أوحى به حرف الحاء وهو "من الأصوات الرخوة المهموسة عند النطق به تنقبض

(١) - بَابُ: إِذَا زَرَعَ بِمَالِ قَوْمٍ بِغَيْرِ إِذْنِهِمْ، وَكَانَ فِي ذَلِكَ صَلاَحٌ لَهُمْ، حديث رقم: (٢٣٣٣)، جـ٣صـ١٠٥.

(٢) - بَابُ: قِصَّةِ أَصْحَابِ الْغَارِ الثَّلاَثَةِ وَالتَّوَسُّلِ بِصَالِحِ الْأَعْمَالِ، حديث رقم: (٢٧٤٣)، جـ٤صـ٢٠٩٩.

(٣) - ينظر: علم الأصوات العام: د/ بسام بركه، صـ١١٧، نشر: مركز الإنهاء القومي، بيروت.

(٤) - ينظر: علم الأصوات العام صـ ١١٩.

فتحة المزمار من دون أن تحدث اهتزازًا في الوترين الصوتيين[١] من دلالة على اختفائهم في الغار خلف هذه الصخرة؛ وهذا ما يجعله مناسبًا جدًا للتعبير عن خفاء هؤلاء النفر في الغار.

وانظر كيف صور صوت التفخيم (الطاء) بإيقاعه الضخم ضخامة هذا الحدث وعظمته وهيبته؛ حتى لكأن أصوات التفخيم تنقل صوت هذه الأصوات كما تنقل الألفاظ معانيها.

إضافة إلى ما في هذا الحرف من إطباق صَوَّر قوة انطباق هذه الصخرة على هؤلاء النفر الثلاثة؛ لأنَّ الإطباق يعني الالتصاق بقوة من دون أيّ منفذ للهواء.

فجرس هذه اللفظة بما تحمله من ثقل في النطق جعلها تكون أكثر ملاءمة لمعنى النص.

فمما أضفى على هذا اللفظ «**انْحَطَّتْ**» قوة في الإيحاء ما يتمتع به صوت الطاء من صفات، فقد جمع بين الإطباق والشدة والانفجار، وهذه الصفات كلها تصب في بودقة المعنى وإظهاره من خلال أصوات اللفظ.

فالذي يبدو أن ما أسهم في إظهار هذا المعنى في هذه اللفظة المفردة هو التشديد على الطاء؛ فإذا علمنا أن للتشديد عنصرين أولهما طاء ساكنة والآخر طاء متحركة... أحسسنا للسكون الذي في العنصر الأول إيحاء بالمكوث على فم الغار، وعدم استطاعة النفر الثلاثة إزاحتها للخروج من الغار، مما يدل على أن الصوت يحكي الفعل، وكذلك فإن النطق بالطاء يلتصق اللسان بسقف الفم، ولما تكرر الصوت نفسه على التوالي صار الالتصاق أشد مما لو كان غير مكرر، وهذا بدوره يوحي بشدة إغلاق الصخرة لباب الغار وشدة التصاقها به.

كما أدى الإدغام وظيفة أخرى هنا تمثلت في إعطاء دلالة الفعل سرعة في الحركة، فكما هو معلوم لدينا أن الأفعال تدل على الحركة – والأسماء تدل على الثبوت والاستقرار؛ ولما جاء الفعل على هذه الصيغة المدغمة أعطى تصورًا عن الحال التي انحطت فيها الصخرة على فم الغار إثر سقوط المطر على وجه السرعة، ولاسيما أن الموقف الذي هم فيه هو موقف صعب وشديد، فجاءت شدة الإدغام

(١) – ينظر: علم الأصوات وأصوات اللغة العربية، د. روعة محمد ناجي، صـ٦٢، ٦٣، نشر المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان ٢٠١٢ م.

لتحاكي شدة الموقف.

وبذا تكون قد تضافرت أصوات هذه المفردة على ملاءمة معناها ورسم مشهد أولئك النفر الثلاثة وانطباق الصخرة على فم الغار رسمًا دقيقًا.

وعبر بـ «**عَلَيْهِمْ**» للتأكيد على أنهم كانوا بداخل الغار وقت انحطاط الصخرة.

وقدم على الفاعل «**فَانْحَطَّتْ عَلَيْهِمْ صَخْرَةٌ**» لإفادة الاختصاص؛ فانحطاط الصخرة كان على باب الغار الذي هم فيه، لا على غيره.

ونكر الفاعل «**صَخْرَةٌ**» لإفادة التعظيم والتهويل.

واشتمال كلمة «**صَخْرَةٌ**» على حرفين من حروف التفخيم وهما (الصاد والخاء) صور ضخامة هذه الصخرة، وعدم قدرة هؤلاء النفر الثلاثة على إزاحتها عن فم الغار.

وفي ذلك "منتهى اليأس وانقطاع الرجاء؛ فهؤلاء الثلاثة انقطعت بهم الأسباب، وما من وسيلة لخروجهم إلا أن تدركهم رحمة الله ــ عز وجل ــ فها هم بمشاعرهم المضطربة من الخوف والوجل الذي ملأ قلوبهم، حتى كأننا نسمع أنفاسهم المتلاحقة المتعاقبة، ومما قرب هذه الصورة حرف (الفاء) بإيحاءاتها المتعاقبة"(١)

إن كل لفظ من هذه الألفاظ يحمل مدلولًا يفتح أبواب الخيال لدى السامع؛ فتريه من وراء الغيب، ما أدرك الثلاثة من العجلة حين رأوا المطر، ومن الحيلة حين اهتدوا إلى الجبل، ومن الضيق المتأزم حين سقطت عليهم الصخرة مؤذنة بالهلاك"(٢)

والجملة معطوفة بالفاء على «**فَدَخَلُوا فِي غَارٍ فِي جَبَلٍ**» للدلالة على معاقبة انحطاط الصخرة لدخولهم الغار، وتعاقب الأحداث وتسارعها؛ فبمجرد أن دخلوا الغار انحطت الصخرة على فمه.

وأفادت الفاء الترتيب الاتساقي للأحداث مع تسارعها، وعبرت عن الجو النفسي الرهيب الذي عاشه أصحاب الغار، وهو الجو الذي فرض عليهم الإيجاز طمعًا في التعجيل في إجابة الدعاء، يضاف إلى

(١) – البيان النبوي لمحمد رجب البيومي، صـ١٣٠، نشر: دار الوفاء، الطبعة: الأولى ١٩٨٧م.

(٢) – البيان النبوي لمحمد رجب البيومي، صـ١٣٠، نشر: دار الوفاء، الطبعة: الأولى ١٩٨٧م.

ذلك أن المناجى عليم بتفاصيل الأعمال الصالحة المدعو بها؛ فاختار المناجون الإيجاز بالفاء مندوحة وظيفية لذلك"[١]

وفي رواية للبخاري[٢] ومسلم[٣]: (فَانْطَبَقَتْ عَلَيْهِمْ) وفيها حذف المفعول، والتقدير: نَفْسُهَا أَوِ الْمَنْفَذُ، ويؤيده أن في رواية سالم[٤]: (فَدَخَلُوهُ فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الجَبَلِ، فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الغَارَ"[٥]

وفي الحذف لون من الإيجاز، ويراد منه "تحريك النفس وشغلها بالإبهام الذي يتبعه البيان، حتى يكون البيان أوقع وأثبت في النفس"[٦] وفي الحذف لون من تخفيف الوطء على أولئك النفر.

وهذا من الإيجاز البديع في القصة الحديثية، حيث تطوي المشاهد التي تفهم من السياق، ويدل عليها النظم، وهو بجانب ما فيه من إيجاز يبعث على التدبر والتفكر في المشاهد المطوية؛ لتتصل أطراف القصة في الذهن؛ فيتصورها مرتبة كما حدثت في الواقع.

وفي مسند أحمد (فَوَقَعَ الْجَبَلُ عَلَى بَابِ الْكَهْفِ، فَأُوصِدَ عَلَيْهِمْ)[٧]على المجاز المرسل بعلاقة الكلية؛ حيث عبر بالكل(الْجَبَلُ) وأريد الجزء (الصخرة)؛" لأن هذا الكل خير معين لتصوير المعاناة

(١) – أنسجة الارتباط وآليات الربط في تركيب الحديث النبوي الشريف حديث (أصحاب الغار والصخرة) في فتح الباري بشرح صحيح البخاري أنموذجًا للدكتور لزهر كرشو صـ٥٠.

(٢) – صحيح البخاري، بَابُ: إِذَا زَرَعَ بِمَالِ قَوْمٍ بِغَيْرِ إِذْنِهِمْ، وَكَانَ فِي ذَلِكَ صَلاَحٌ لَهُمْ، حديث رقم: (٢٣٣٣)، جـ٣صـ١٠٥.

(٣) – صحيح مسلم، بَابُ: قِصَّةِ أَصْحَابِ الْغَارِ الثَّلاَثَةِ وَالتَّوَسُّلِ بِصَالِحِ الأَعْمَالِ، حديث رقم: (٢٧٤٣)، جـ٤صـ٢٠٩٩.

(٤) – فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر، جـ٦ صـ٥٠٧.

(٥) – صحيح البخاري، بَابُ: مَنِ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَتَرَكَ الأَجِيرُ أَجْرَهُ، فَعَمِلَ فِيهِ المُسْتَأْجِرُ فَزَادَ، أَوْ مَنْ عَمِلَ فِي مَالِ غَيْرِهِ، فَاسْتَفْضَلَ، حديث رقم: (٢٢٧٢)، جـ٣صـ٩١.

(٦) – (٣) ينظر: البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها وصور من تطبيقاتها بهيكل جديد من طريف وتليد، للدكتور عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، جـ٢صـ٤٢، نشر: دار القلم. دمشق. الطبعة: الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.

(٧) – حديث رقم: (١٨٤١٧) جـ٣٠صـ٣٦٦.

التي عاناها أولئك النفر الثلاثة"[١]

وفي ذلك مبالغة في أن الكل قد شارك الجزء فيما هو خاص به؛ فدل ذلك على المبالغة في سد وإغلاق باب الغار، وإحاطة الغار بهم.

هذا وتعد هذه الجملة هي الجملة الأم، وجملة انطلاق القصة؛ لأنها احتوت على أساس القصة وأوقفت المتلقي على نقطة بدئها، فماذا قال أولئك النفر الثلاثة بعد ذلك؟

وهكذا تبدأ القصة بداية مثيرة فيها لفت للانتباه، واستدعاء للإنصات.

وهي بداية كانت متدفقة بشعور نفسي متأزم، تمثل في انحطاط الصخرة، والتفكير في البحث عن مخرج، حينئذ "لم يبق أمامهم إلا الدعاء والتوسل إلى الله بصالح الأعمال... لم يبق إلا اللجوء إلى القوة الربانية التي لا يحول دونها شيء، وإلا فإن بقاءهم يعني انتظار الموت جوعًا وعطشًا"[٢]

وبعد هذه البداية المشوقة يبدأ الحديث الشريف في سرد الحوار الذي دار بين هؤلاء النفر.

«**قَالَ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: ادْعُوا اللَّهَ بِأَفْضَلِ عَمَلٍ عَمِلْتُمُوهُ**»

أي فادعوا الله متوسلين بتلك الأعمال الصالحة الخالصة لوجهه التي لا رياء فيها ولا سمعة، كما يدل عليه قوله بعد: «**ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ**».

والفصل بين «**قَالَ**» وما قبلها للاستئناف البياني؛ لأن انحطاط الصخرة على فم الغار يثير في نفس السامع تساؤلًا عن حالهم في مواجهة هذا الموقف العصيب، وجاء «**قَالَ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: ادْعُوا اللَّهَ بِأَفْضَلِ عَمَلٍ عَمِلْتُمُوهُ**» جوابًا عن هذا السؤال.

وعلى هذا كل ما في القصة من قال وقالوا، كما هو الحال في حكاية الحوارات.

والفاء في قوله: «**فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ**» تدل على ترتيب القول على الانحطاط، وعلى حدوثه عقيبه؛ إذ قال بعضهم لبعض ادعوا الله، إثر انحطاط الصخرة؛ وهذا يدل على مدى تأثرهم بهذا الحدث.

وفي هذه الفاء إيذان بسببية قول بعضهم لبعض «**فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ**» لانحطاط الصخرة «**فَانْحَطَّتْ**

(١) – البيان النبوي لمحمد رجب البيومي، صـ١٣٠، نشر: دار الوفاء، الطبعة: الأولى ١٩٨٧م.

(٢) – التصوير الفني في الحديث النبوي، صـ٤٣.

عَلَيْهِمْ صَخْرَةٌ».

فالفاء في قوله: «**فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ**» دالة على ما يلي:

١-التفريع.

٢- السببية.

٣- الربط.

٤- التعقيب.

والفاءات في تلك الجمل دالة على سرعة توالي الأحداث، واتصال بعضها ببعض.

وجاءت الأفعال في تلك الجمل مرتبة حسب ترتيبها في الوجود:

١- الخروج - «خَرَجَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ يَمْشُونَ»

٢- نزول المطر - «فَأَصَابَهُمُ المَطَرُ»

٣- دخول الغار - «فَدَخَلُوا فِي غَارٍ فِي جَبَلٍ»

٤- انحطاط الصخرة - «فَانْحَطَّتْ عَلَيْهِمْ صَخْرَةٌ»

٥- قول بعضهم لبعض -«فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: ادْعُوا اللهَ بِأَفْضَلِ عَمَلٍ عَمِلْتُمُوهُ»

كما تماثلت الأفعال في الزمن الماضي: «خَرَجَ» «فَأَصَابَهُمُ» «فَدَخَلُوا» «فَانْحَطَّتْ» «فَقَالَ».

وكان الترابط بين هذه الجمل بطريقين:

الأول: حروف الوصل الظاهري مثل: الفاء.

والآخر: عوامل الوصل الداخلي مثل: كمال الاتصال، وشبه كمال الاتصال.

«ادْعُوا اللَّهَ بِأَفْضَلِ عَمَلٍ عَمِلْتُمُوهُ»

فصلت هذه الجملة عما قبلها «**فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ**» لما بينهما من كمال الاتصال؛ فهي بمنزلة البيان والتفسير لها؛ ففي الأولى خفاء بينته ووضحته الثانية؛ فهي بيان لقول بعضهم لبعض، إضافة إلى ما بين الجملتين من اختلاف في الخبرية والإنشائية.

وعبر باسم الجلالة «**اللَّهَ**»؛ لأن المقام مقام تهويل وتخويف، واسم الجلالة لدلالته على الألوهية وهي

اقتدار وعظمة وتكليف أدل على ذلك.

وعبر بصيغة التفضيل «**أَفْضَلِ**» للدلالة على المبالغة في أفضلية هذا العمل وعلو منزلته في الخلاص من هذا البلاء.

وفي حذف المفضل عليه إشعار بعموم مزيد فضل عملهم؛ فأفضلية عملهم زائدة على أفضلية عمل غيرهم.

وإضافة «**أَفْضَلِ**» إلى «**عَمَلٍ**» من إضافة الصفة إلى الموصوف.

وعبر بالعمل «**عَمَلٍ**» دون الفعل ونحوه؛ للدلالة على توفر القصد والنية فيه؛ فالعمل في اللغة: كل فعل مقصود؛ فهو أخص من الفعل؛ لأن الفعل قد يقع بغير قصد.(١)

قال بعض الأدباء: العمل مقلوب عن العلم، فإن العلم فعل القلب، والعمل فعل الجارحة، وهو يبرز عن فعل القلب الذي هو العلم وينقلب عنه.(٢)

كما أن فيه دلالة على الدأب والمداومة؛ فحَقِيقَة وأصل الْعَمَل فِي اللُّغَة: الدؤوب وَمِنْه سميت الرَّاحِلَة يَعْلَمَة(٣)، يقول الشَّاعِر:

وَقَالُوا قُم وَلَا تعجل ... وَإِن كُنَّا على عجل

قليلٌ فِي هَوَاك الْيَوْم ... مَا نلقى من الْعَمَل(٤)

(١) – ينظر: المفردات في غريب القرآن صـ٥٨٧. ومعجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم صـ٣١٩.

(٢) – معجم الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، صـ٣٢٢، نشر: مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة: الأولى ١٤١٢هـ.

(٣) – والْيَعْمَل: الناقة السريعة، اشتُقَّ لها اسم من العمل، والجمع يَعْمَلاتٌ(تاج العروس من جواهر القاموس مادة " ع، م، ل" جـ٣٠صـ٥٥.)

(٤) – جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري، جـ٢صـ٢٠١، نشر: دار الفكر – بيروت.

أَي من الدؤوب فِي السّير.[١]

وفي اختيار الحديث الشريف لهذه المقاطع الطويلة التي يمتد بها الصوت في " صا، وا، قا، وا، مو" تصوير لآهات الأصحاب الثلاثة المكلومين؛ فهي تعكس امتداد الصوت والنفس واستطالة الآهات.

الخصائص البلاغية:

بمراجعة التحليل البلاغي لجمل القصة التي تتحدث عن فضيلة التوسل بالعمل الصالح يتبين لنا أنها تتميز بمجموعة خصائص بلاغية من أهمها ما يلي:

١- شيوع حروف الذلاقة " الراء، والباء، والميم، والنون، واللام، والفاء" التي توحي بالأجواء النفسية للأصحاب الثلاثة، وتدل على مدى مجاهدتهم وإيبائهم.

ولما تمتاز به هذه الأصوات من وضوح سمعي، إذ إن الأصحاب الثلاثة يريدون أن يحدثوا تأثيرًا ما لدى المتلقي بالتركيز على هذه الأصوات. فالتكرار وسيلة لإثراء الموقف النفسي، وحشد المواقف والإحساسات.

كما يؤدي (تكرار الحروف دورًا عظيمًا في الموسيقا اللفظية؛ إذ قد تشترك الكلمات في حرف واحد أو أكثر، ويكون لهذا الاشتراك فائدة موسيقية عظيمة، وقيمة نغمية جليلة تؤدي إلى زيادة الأداء بالمضمون الشعري)[٢].

٢ـــ اتسمت القصة بالدقة في اختيار الألفاظ؛ واختيار الكلمات ذات المقاطع الطويلة تصويرًا لآهات الأصحاب الثلاثة؛ فهي تعكس امتداد الصوت والنفس، واستطالة الآهات.

فألفاظ القصة تميزت بالدقة في الاختيار وبسعة الدلالات وتنوعها وبإثارة الخيال وبقوة التأثير في المتلقين.

---

(١) - الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري، تحقيق وتعليق: محمد إبراهيم سليم، صـ١٣٥، نشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر.

(٢) أبو فراس الحمداني الموقف والتشكيل الجمالي، د/ النعمان القاضي، صـ٥٠١، نشر دار الثقافة ودار التوفيق، الأزهر، ١٩٨١م.

٣- غلبة التعريف حيث ورد في تسعة مواضع، فقد ورد المسند إليه معرفًا في ستة مواضع، كان النصيب الأكبر منها للتعريف بالضمير؛ حيث عرف به في أربعة مواضع، وعرف بكل من (ال) والإضافة في موضعين، وعرف المسند بالإضافة في موضعين وبالعلمية في موضع واحد.

في حين ورد التنكير في موضعين اثنين؛ كانا من نصيب المسند إليه.

وفي ذلك دلالة على أن الكرب الذي حل بهم بيِّن وواضح وأنه بالغ الأثر.

٤- شيوع الأسلوب الخبري حيث ورد الخبر الابتدائي ثماني مرات.

في حين ورد الأسلوب الإنشائي الطلبي بأسلوب الأمر مرة واحدة؛ وذلك لاعتماد الحديث على الأسلوب التقريري القصصي.

٥- شيوع التعبير بالجملة الفعلية؛ حيث وردت تسع مرات. كان النصيب الأكبر منها للفعل الماضي فقد جاء في ثماني مواضع، وجاء التاسع بصيغة الأمر؛ ليدل على ثبات معاناة هؤلاء النفر الثلاثة وتحققها.

أما الجملة الاسمية فقد توارت تمامًا؛ وفي هذا دلالة على غلبة الحركة على أسلوب القصة واهتمامه بعنصر الزمن.

٦- شيوع العطف بين الجمل بـ(الفاء) المفيدة للترتيب والتعقيب والسببية؛ وذلك للدلالة على تعاقب الأحداث وتسلسلها بدون مهلة؛ فقد جاءت في أربعة مواضع.

أما العطف بـ(الواو) فقد توارى في هذه الفقرة تمامًا.

وجاء الفصل بين الجمل في ثلاثة مواضع يمشون ، قال ، ادعوا .....

٧- شيوع الضمائر التي تحيل إلى مرجع واحد في القصة؛ فهناك ضمير الغائب في (فَأَصَابَهُمُ، عَلَيْهِمْ، بَعْضُهُمْ، عَمِلْتُمُوهُ) اتحدت هذه الضمائر في مرجعيتها إلى المذكور الأول (ثَلاَثَةُ نَفَرٍ).

وهذه الإحالة حققت التماسك النصي للقصة، وهي ـــ أعني الإحالة ـــ تعد من أهم الروابط بين مكونات الخطاب؛ حيث تقدمه في صورة جمل متسلسلة، سهلة الاستيعاب والتذكر، وهو ما يسهل التعايش مع الخطاب، ومن ثم الاقتناع به، والإذعان لما جاء فيه.

المبحث الثاني

خصائص النظم النبوي في قصة الرجل البار بأبويه

في تقديم النبي ـ ﷺ ـ لقصة الرجل البار بأبويه والبدء بها إشارة إلى أن بر الأبوين من أهم الأمور التي يدفع الله تعالى بها البلاء.

«فَقَالَ أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ إِنِّي كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَرْعَى، ثُمَّ أَجِيءُ فَأَحْلُبُ فَأَجِيءُ بِالحِلاَبِ، فَآتِي بِهِ أَبَوَيَّ فَيَشْرَبَانِ، ثُمَّ أَسْقِي الصِّبْيَةَ وَأَهْلِي وَامْرَأَتِي، فَاحْتَبَسْتُ لَيْلَةً، فَجِئْتُ فَإِذَا هُمَا نَائِمَانِ، قَالَ: فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا، وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ رِجْلَيَّ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبِي وَدَأْبَهُمَا، حَتَّى طَلَعَ الفَجْرُ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ، قَالَ: فَفُرِجَ عَنْهُمْ،»

المبحث الثاني: خصائص النظم النبوي في قصة الرجل البار بأبويه

«فَقَالَ أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ إِنِّي كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ»

«**فَقَالَ أَحَدُهُمْ**» بيان للدعاء وتفسير له، وأنه دعاء مبناه الإخلاص في العمل، ومراقبة الله تعالى.

وعطفت هذه الجملة بالفاء على «**فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: ادْعُوا اللَّهَ بِأَفْضَلِ عَمَلٍ عَمِلْتُمُوهُ**» للدلالة على معاقبة دعاء أحدهم وتضرعه وسرعة استجابته لطلب بعضهم من بعض الدعاء؛ فبمجرد أن طلب بعضهم من بعض الدعاء دعا أحدهم وتضرع إلى الله بكشف الغمة؛ فهي واقعة في جواب الأمر.

وفي هذه الفاء إيذان بسببية قول أحدهم «**فَقَالَ أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ إِنِّي كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ**» لقول بعضهم لبعض «**فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: ادْعُوا اللَّهَ بِأَفْضَلِ عَمَلٍ عَمِلْتُمُوهُ**».

وافتتح كل منهم قصته بنداء الله ـ تعالى ـ «**اللَّهُمَّ**» لإظهار مزيد الضراعة والخشوع لله تعالى، وهذا من مقدمات الدعاء ودواعي إجابته.

و «**اللَّهُمَّ**» "تستعمل على ثَلَاثَة أنحاء: الأول: للنداء الْمَحْض، وَهُوَ ظَاهر. وَالثَّانِي: للإيذان بندرة

الْمُسْتَثْنى، كَمَا يُقَال: بعد كلام اللَّهُمَّ إلاَّ أَن يكون كَذَا. وَالثَّالِث: الدلالة على تَيَقّن الْمُجيب فِي الْجَواب المقترن هُوَ بِهِ، كَقَوْلِك لمن قَالَ: أَزِيد قَائِم؟ اللَّهُمَّ نعم. أَو: اللَّهُمَّ لَا. كَأَنَّهُ يُنَادِيه تَعَالَى مستشهداً على مَا قَالَه من الْجَواب."[1]، وكأنه استشهد بالله في ذلك تأكيدًا لصدقه، واللهم في الحديث الشريف من النوع الثالث.

أي: اللهم إن حالي وشأني أني أناديك تعالى مستشهدًا على ما قاله من الجواب.

وهذه الكلمة «**اللَّهُمَّ**» تتميز من غيرها في النداء، فأصلها (يا الله) مثل كل الأسماء، فلما أريد بها الدعاء، حذفت (يا) دلالة على القرب، ثم عوض عنها (الميم) المشعرة بالجمع والتأكيد بما فيها من ضم الشفتين وانطباقهما عند النطق بها، والتشديد الظاهر فيها، وقد تشير كل هذه المؤشرات إلى شدة الاعتماد على المدعو سبحانه، وتأكيد ندائه ودعائه، كما أن هذا الحذف والتعويض جعل للكلمة سمة مميزة من غيرها؛ لأنها دعاء الخالق بلفظ الجلالة الله وهو الاسم الذي لا يشاركه فيه غيره.[2]

وقد جاء عن الحسن البصري (اللهم) مجتمع الدعاء، وعن النضر بن شميل من قال: (اللهم) فقد سأل الله بجميع أسمائه"[3]

«**إِنِّي كَانَ لِي أَبَوَانِ**»

يحيلنا هذا المقطع على استرجاع، وارتداد بالأحداث إلى الخلف بذكر الفعل «**كَانَ**» ليدل على أن الأحداث المذكورة حدثت في الماضي البعيد وهذا الارتداد يستغرق مسافة زمنية من زمن القصة.

"والاسترجاع هو التقنية المهمة في ترتيب الأحداث في هذه القصة، ذلك أنه أسهم في إضاءة مرحلة من مراحل حياة هؤلاء الفتية، أين كانوا يتصفون بصالح الأعمال لوجه الله، حتى فرج كربهم وأطلق أسرهم، وكشف همهم.

كما كان لهذا الاستذكار أثر في استجلاء حقيقة دينية كبرى وهي مشروعية

---

(١) – عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني، جـ٢صـ٢١، نشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(٢) – ينظر: التحرير والتنوير ١/ ٧٣٧.

(٣) – فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، جـ١١صـ١٥٥.

الدعاء عند حلول الكرب والبلاء."[١]

وأبوان تثنية أب، والمراد به الأب والأم على طريقة تغليب المذكر على المؤنث، وهو: "ترجيح أحد المغلوبين على الآخر، أو إطلاق لفظه عليه إجراء للمختلفين مجرى المتفقين"[٢]

وفائدة التغليب إضافة إلى الإيجاز الإشعار بأن واجب رعاية هذا الرجل للأبوين في جانب الأم على الدرجة نفسها في جانب الأب، وأنها قد بلغت الغاية في الأبوة، والقيام بواجباتها.

وفي التعبير بـ «**أَبَوَانِ**» توقير وتعظيم لهما وإشعار بأنه يطيعهما، كما هو حق الوالد على الولد.

وعبر بالأبوين دون الوالدين؛ لأن الأب هو من يقوم بإصلاح الأبناء ورعايتهم بالتربية والغذاء[٣] لا الأم، وقد قام هذا الابن بهذا الدور.

وقدم الخبر «**لِي**» على اسم كان «**أَبَوَانِ**» لإفادة التخصيص، أي قصر الأبوين على كونهما له، على سبيل القصر الحقيقي، ففيه مسارعة إلى أن الأبوة حالَّة به هو، ومقتضاها ملازم له هو، وفيه لفت للانتباه، وإيقاظ للحس، وتركيز على المقدم من الكلام.

وهذا الاختصاص هو الذي أنتج لنا تشويق المخاطب لأن يعرف ما يستتر وراء هذا الاختصاص من سرد لحالة شخصية هذا الرجل الذي يجيء حاملًا قوته وقوت والديه، فيراهما نائمين، فيوقظ فيه إيمانه عدم تقديم أولاده الذين يتضاغون عنده على والديه، وما كان تدفق تلك الدلالة ليظهر لولا هذا التقديم الذي أنتجها.[٤]

---

(١) – بنية الزمان والمكان في قصص الحديث النبوي الشريف صـ٦٢.

(٢) – – معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، للدكتور/ أحمد مطلوب.، جـ٢صـ٣٠٥، نشر: مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة ١٩٨٧م.

(٣) – ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مادة: (أ، ب ، و)، نشر: دار الفكر:١٣٩٩هـ ١٩٧٩م. ومعجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم صـ٢٥.

(٤) – ينظر: القصة في الحديث النبوي دراسة أسلوبية للباحثة/ كريمه حجازي، ص ٢٦٣، ٢٦٤، نشر جامعة باتنه، الجزائر ٢٠١٨م.

وقد يراد منه التنبيه على أن المسند هو محور القصة، والسبب في أحداثها، "فالمسند هو الرجل المحسن البار بوالديه، وهو من دارت عليه القصة أولا، وصورت معاناته في تلك الليلة، وامتناعه من تقديم أحد بالطعام والشراب على والديه النائمين، تاركًا أبناءه الصغار يتضورون جوعًا، ويملؤون أرجاء البيت بكاءً وصراخًا، مستمرين على ذلك حتى طلوع الفجر، وتقديم المسند إنما كان من أجل تنبيه المخاطب إليه كي ينال العناية والاهتمام اللازمين"[١]

«شَيْخَانِ كَبِيرَانِ»

« شَيْخَانِ» أي بالغان سن الشيخوخة «كَبِيرَانِ» أي بالغان غاية من الكبر والهرم، فهما قد جامعا بين الشيخوخة والكبر، وترتيبهما مبنى على تقديم الأعم على الأخص؛ فإن كل كبير شيخ، وليس كل شيخ كبير.

ولعل هذا الترتيب للمبالغة في الإشعار بحاجتهما إلى مزيد عناية ورعاية هذا الرجل لهما والعناية والاهتمام اللازمين.

وقد يكون من ترادف الصفات؛ فبعد أن وصفهما بالشيخوخة، التي تعني الكبر في السن، ليبين مدى ضعفهما، وحاجتهما إلى مزيد عناية، أردف ذلك بوصفهما بالكبر، لتأكيد مدى ضعفهما، وحاجتهما إلى ملازمة أبنائهما لهما.

وهذا من باب التغليب كذلك؛ لأن الأم لا يقال لها شيخة وإنما يقال لها: عجوز، كما لا يقال للرجل: عجوز وإنما يقال له: شيخ[٢]

ونلحظ هنا أن الرجل جاء بهذه الصفة الثانية «كَبِيرَانِ» غير معطوفة على الصفة الأولى «شَيْخَانِ»؛ لأن الأصل في الصفات أن تذكر بدون عطف؛ لأن الصفة جارية مجرى الموصوف، فكأنها تكرار لذكره، وهي من هذا الوجه لا تعطف؛ فسقط العاطف ـــ هنا ـــ للدلالة على كمال اجتماع هاتين الصفتين في

(١) – جماليات صحيح القصص النبوي دراسة أسلوبية في المستوى التركيبي ص٤٤.

(٢) – شرح صحيح مسلم لأبي الأشبال حسن الزهيري،٥٣/ ١٣، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.

أبويه، وأن اجتماعهما فيهما قد بلغ الغاية والكمال، وكأنهما صفة واحدة.

وما بين الصفتين «**شَيْخَانِ كَبِيرَانِ**» والموصوف «**أَبَوَانِ**» من ارتباط بتلك العلاقة الوثيقة أدى إلى إزالة ما في المنعوت من إبهام ببيان معنى فيه.

هذا وبين الصفتين مراعاة نظير وتناسب تام، وتتجلى قيمته الفنية في مجيء الكلام متلاحم الأجزاء، محبوك البناء، فبعضه يرمي بنظره إلى بعض، وبين أجزائه تمتد أسباب التناسب ووجوه التلاؤم، فيأخذ بلب المتلقي، وينتزع إعجابه بقدرة المتكلم على حسن نظمه الكلام، والجمع بين أطرافه بلباقة وفطنة.

وتنصرف مهمة الناقد في هذا الفن إلى الكشف عن هذه الأسباب الدلالية،

والاستدلال بذلك على جودة السبك، وحسن الانتقاء.

ومما تجدر الإشارة إليه تكرار حرف النون الذي يستعمل للوضوح السمعي، وما أضافه إلى الجملة من مزيد وضوح ورنين، فهي بما فيها من رنين تحدث قوة إسماع، بالإضافة إلى صوت الغنة الموسيقي في هذا الحرف، وليست الغنة إلا إطالة صوت النون مع تردد موسيقي محبب فيها.

وتكرار حرف النون في الجملة يحاكي برنينه رنين الألم الذي يتجاوب به صدر الأصحاب الثلاثة؛ فهو أصدر رنينًا موسيقيًا واضحًا، ينسجم مع انفعالهم؛ فأحدث جرسًا متميزًا.

فقد نشأ عن تردد هذا الصوت نوع من الموسيقا ترتاح إليه الأذن، وتميل إليه، ونلحظ وضوحًا صوتيًا شديدًا ورنينًا مدويًا، وذلك يضاعف من قوة إسماع الكلمات، ويجعل للجملة إيقاعًا حاسمًا جليًا يتواءم مع جلاء معناها.

ونجد لصوت الغنّة إيقاعًا حانيًا يتواءم مع الحنّو من لدن الرجل الممنوح لأبويه الكبيرين.

«**فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَرْعَى، ثُمَّ أَجِيءُ فَأَحْلُبُ فَأَجِيءُ بِالحِلَابِ**»

عبر بـ «**كُنْتُ**» للإشعار بقدمه في هذا الوصف، وثبوته فيه وعراقته وهو خدمة أبويه.

وكان ـــ هنا ـــ هي كان الدالة على الحال، كما في قوله تعالى: {إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا}(النساء:١٠٣)، وليست للمضي المنقطع كما في قوله تعالى: { قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ}(هود:٦٢)

وجاء الفعل مسندًا إلى ضمير التكلم (تُ) للدلالة على الاختصاص والتفرد بهذا الفعل؛ فلا أحد يرعى أبويه غيره.

وعبر بالمضارع «**أَخْرُجُ**» ليؤكد هذا الاختصاص والتفرد، ويدل على استمراره وتجدده.

وحذف مفعول «**فَأَرْعَى**» ولم يقيد رعيه بما رعى، وأصل الكلام: فكنت أخرج فأرعى إبلي وغنمي وماشيتي لإفادة العموم مع الاختصار، ولعدم تعلق الأمر به؛ ففي حذف المفعول والقيد إشارة إلى عموم رعيه للإبل وغيرها من الغنم والماشية، وشموله لكل ما يُرعى.

وفي حذف المفعول في هذا الموضع تقوية للمعنى، وتأكيد للحجة؛ إذ أتاح للمتلقي أن يدرج تحت فعل الرعي ما شاء من المفاعيل مما يخطر بباله أو يعايشه في محيطه.

«**ثُمَّ أَجِيءُ فَأَحْلُبُ فَأَجِيءُ بِالحِلاَبِ**» عطف المجيء بـ «**ثُمَّ**» لطول الفترة التي يمكثها في المرعى.

وعطف «**فَأَحْلُبُ**» بالفاء للإشعار بمعاقبة الحلب من الرجل للمجيء لطفًا بأبويه وشفقة بهما؛ حيث لا يتركهما جائعين.

والفاء لعطف مشهد على مشهد سابق؛ نظرًا لما في السياق من إيجاز، والتعقيب فيها منظور إليه باعتبار توالي الأحداث المذكورة وتتابعها من دون نظر إلى ما بينها من أحداث مطوية؛ فهو تعقيب نسبي.

والحَلَبُ: اسْتِخْرَاج مَا فِي الضَّرع من اللَّبن، يكون فِي الشَّاء وَالْإِبِل وَالْبَقر. حَلَبَها يَحلُبُها ويَحلِبُها حَلْبًا وحلَبًا وحِلابًا[1]

وحذف المفعول به لعدم تعلق الأمر به.

و «**الحِلاَبِ**» بكسر الحاء وتخفيف اللام، هو الإناء الذي يحلب فيه ذوات الألبان، يسع حلبة ناقة،

(١) – المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، مادة: (ح ـ ل ـ ب)، جـ٣صـ٣٥٣، نشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

ويقال له المِحلب بكسر الميم[١]

وقد يراد بالحلاب هنا اللبن الْمَحْلُوبُ[٢]؛ فهو مجاز مرسل علاقته المحلية؛ حيث أطلق المحل «**الحِلاَبِ**» وأريد الحال وهو اللبن؛ وفي ذلك مبالغة في كثرة اللبن وامتلاء الإناء به.

وبين أحلب والحلاب جناس اشتقاق؛ فهما مشتقان من جذر لغوي واحد (ح ـــ ل ـ ب) وقد عمل الجناس على توكيد الوحدة الجامعة بين مضمون ركنيه باشتراكهما الاشتقاقي في الأصل نفسه.

كما أوجد الجناس في الجملة جرسًا مؤثرًا، وأسبغ على المعنى قوة، وفي المجيء بكل منهما على صيغته المذكورة تقوية للمعنى، وإبراز له في أبلغ صورة.

كما حمل الجناس عنصر المفاجأة، وخداع الأفكار؛ لأنه أوهم المتلقي أن اللفظ قد تكرر ولا فائدة سيجنيها من ذلك، ولكن سرعان ما أدرك ببديهته، وفكره أنه خُدِعَ، وأن اللفظ الآخر حمل معنى آخر غير المعنى المتوقع، فيكون له أثر حسن في النفس، ووقع جميل في القلب.

وفي تعدية الفعل بباء الإلصاق إشعار بانشغاله بتقديم الشراب لأبويه، وجعله من أولوياته.

«**فَآتِي بِهِ أَبَوَيَّ فَيَشْرَبَانِ**»

«**فَآتِي**» عبر بالإتيان هنا؛ لأنه مجيء بسهولة، وعبر بالمجيء هناك «**ثُمَّ أَجِيءُ فَأَحْلُبُ فَأَجِيءُ بِالحِلاَبِ**»؛ لأنه مجيء فيه صعوبة؛ فالعودة من الرعي، وكذلك حلب الإبل أمران فيهما صعوبة بالنسبة لتقديم الشراب إلى أبويه.[٣]

---

(١) – ينظر: غريب الحديث للخطابي، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، خرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي، جـ ١ صـ١٦٢، نشر: دار الفكر – دمشق ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م. ولسان العرب لابن منظور، مادة: (ح ـ ل ـ ب) جـ١ صـ٣٢٩، نشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة ١٤١٤هـ. وغريب الحديث للخطابي، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، خرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي، جـ ١ صـ١٦٢، نشر: دار الفكر – دمشق ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

(٢) – المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي، جـ١٧ صـ٥٦، نشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية١٣٩٢هـ.

(٣) – ينظر: من أسرار النظم القرآني آيات وعبر للدكتور/ محمد عبد الله سعادة، صـ ٣٢، نشر: مكتبة بسملة بالإسكندرية.

وقدم المتعلق «بِهِ» لإفادة الاختصاص فهو خاص بأبويه.

«أَبَوَيَّ» أصله: أبوان لي، فلما أضيف إلى ياء المتكلم وسقطت النون وانتصب على المفعولية قلبت ألف التثنية ياء وأدغمت الياء في الياء.

وأوحت الكلمة المضافة ــ هنا ــ بما يثير في النفس كوامن العطف والوجدان، فيوقظ الفطرة، ويحث على الرحمة والشفقة.

«فَيَشْرَبَانِ» الفاء فصيحة أفصحت عن جملة محذوفة تقديرها: فأناولهما إياه فيشربان.(١)

وحذف المفعول به لعدم تعلق العلم به.

«ثُمَّ أَسْقِي الصِّبْيَةَ وَأَهْلِي وَامْرَأَتِي»

عطف على سابقه بـ «ثُمَّ» للدلالة على التراخي المفيد لعظيم اهتمامه بأبويه.

وعبر بـ «أَسْقِي» للدلالة على بذله الكلفة والمشقة في هذا الإسقاء.

فالفرق بين سقى وأسقى أن سقى يستعمل فيما لا كلفة فيه، كما ورد في قوله تعالى: {وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا}(الإنسان:٢١) فالسقيا في الآخرة لا يقع فيها كلفة، بل جميع ما يقع فيها يقع سهلًا يسيرًا.

أما أسقى فيستعمل فيما فيه تكلف ومشقة، أو معالجة ومغالبة، كما في قوله تعالى: {وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا}(المرسلات:٢٧) وقوله تعالى: {وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا}(الجن:١٦) فالإسقاء في الدنيا وفيه تكلف ومشقة ومعالجة ومغالبة.(٢)

«الصِّبْيَةَ» بِكَسْر الصَّاد: جمع صَبِي وكذلك الصبوة، والواو الْقيَاس وَالْيَاء أَكثر اسْتِعْمَالا.(٣)

«وَأَهْلِي وَامْرَأَتِي» المراد بالأهل ــ ههنا ــ الأقرباء نَحْو: الْأَخ وَالْأُخْت، حَتَّى لَا يكون عطف امْرَأَتي على أَهلِي عطف الشَّيْء على نَفسه.(٤)

---

(١) – ينظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني، جـ١٢صـ٢٤، نشر: دار إحياء التراث العربي بيروت.

(٢) – ينظر: من أسرار النظم القرآني آيات وعبر، صـ٢٩.

(٣) – عمدة القاري شرح صحيح البخاري جـ١٢صـ٢٤.

(٤) – عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني، جـ١٢صـ٢٤.

وبين الأسماء الثلاثة مراعاة نظير.

ثم دلل بواقعة مؤثرة على عظيم اهتمامه بأبويه، وحرصه الشديد على برهما، وتقديمهما على أهله وولده فقال:

«**فَاحْتَبَسْتُ لَيْلَةً، فَجِئْتُ فَإِذَا هُمَا نَائِمَانِ**»

أي: تأخرت ليلة من الليالي بسبب أمر عرض لي؛ إذ استطردت مع غنمي في الرعي إلى أن بعدت عن مكاني زيادة على العادة فلذلك تأخرت.

وعبر بـ «**احْتَبَسْتُ**» للدلالة على أن تأخره كان لأمر خارج عن إرادته.

فجاءت الكلمة معبرة عن المعنى الذي يريد الرجل أن يبين عنه ويصدح به ومصورة له أبلغ تصوير؛ لأن أصل هذه الكلمة هو إمساك الإنسان عن وجهه ومقصده.

يقول ابن منظور: حَبَسَه يَحْبِسُه حَبْساً، فَهُوَ مَحْبُوس وحَبِيسٌ، واحْتَبَسَه وحَبَّسَه: أَمسكه عَنْ وَجْهِهِ. والحَبْسُ: ضِدُّ التَّخْلِيَةِ.(١)

فهذه الكلمة تؤذن بأن طلب المرعى قد أثنى الرجل عن مقصده، وأخره عن العودة لأبويه، وتقديم المشروب لهما قبل نومهما.

وفي رواية لمسلم (نَأَى بِي ذَاتَ يَوْمٍ الشَّجَرُ)(٢) على المجاز العقلي بعلاقة السببية؛ حيث أسند الفعل نأى إلى سببه، أي نأى بي طلب الشجر.

وهذا التجوز يصور مدى أثر طلب الشجر في جهد هذا الرجل ومشقته في طلبه؛ لذا أبرزه مباشرًا للفعل بنفسه.

وفي الجملة ما يسمى بالمذهب الكلامي؛ إذ أوردها الرجل حجة على ما يدعيه من أنه تأخر عن أبويه.

---

(١) – لسان العرب مادة: (ح ـ ب ـ س)، جـ٦ صـ٤٤.

(٢) – صحيح مسلم، بَابُ: قِصَّةِ أَصْحَابِ الْغَارِ الثَّلَاثَةِ وَالتَّوَسُّلِ بِصَالِحِ الْأَعْمَالِ، حديث رقم: (٢٧٤٣)، جـ٤ صـ ٢٠٩٩،

«فَإِذَا هُمَا نَائِمَانِ»

اختلف في الفاء الداخلة على إذا الفجائية، نحو: خرجت فإذا الأسد. فذهب المازني، ومن وافقه، إلى أنها زائدة لازمة. وإليه ذهب الفارسي. وذهب أبو بكر مبرمان إلى أنها فاء عاطفة، واختاره ابن جني. وذهب الزجاج إلى أنها فاء الجزاء، دخلت على حد دخولها في جواب الشرط.(١)

ولاحظ دلالة التعبير بـ «إِذَا» التي تحمل معنى الفجائية، والمباغتة والهجوم(٢) ويكون ما بعدها أمرًا غير متوقع الحدوث في الغالب.

وهي تضاف إلى جملة، فقوله: هما، مبتدأ ونائمان، خبره، وقد دلت على أنه كان لا يألف رؤيتهما نائمين عند عودته.

فـ(إذا) الفجائية: "تشعر دائمًا أن ما يأتي بعدها حدث مثير غريب غير مألوف، فيه مفاجأة، وفيه دهشة"(٣)

«قَالَ: فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا»

فصلت هذه الجملة عن سابقتها «فَإِذَا هُمَا نَائِمَانِ»؛ لتنزيلها منها منزلة الجواب من السؤال؛ فقد أثارت الجملة الأولى سؤالًا مؤداه فماذا فعلت؟ فجاءت الجملة الثانية جوابًا عن هذا السؤال، وهو ما يعرف بشبه كمال الاتصال، أو الاستئناف البياني(٤)، والذي يكون الفصل فيه وصلًا تقديريًا وأقوى من الوصل الظاهر بحرف العطف، والتنبه إلى هذا الوصل الخفي باب دقيق من أبواب البيان، تتكاثر محاسنه.(٥)

---

(١) – الجنى الداني في حروف المعاني، صـ٧٣.

(٢) – حاشية الدسوقي على مغني اللبيب جـ١ صـ٩٣.

(٣) – شرح أحاديث من صحيح البخاري، د. محمد أبو موسى: صـ٣، نشر: مكتبة وهبه.

(٤) – ينظر: عروس الأفراح جـ٣ صـ٥٦.

(٥) – ينظر: من البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، وأثرها في الدراسات البلاغية د/ محمد أبو موسى صـ ٣٥٩، طبعة دار الفكر العربي، بدون تأريخ.

فالوصل فيه يعتمد على اتصال المعنى، وهو مظهر من مظاهر نشأة المعاني بعضها عن بعض، وتمهيد بعضـها لبعض، حتى كأن الجملة الثانية تتولد عن الجملة الأولى، وكأن الأولى مهاد للثانية، وإرهاص بها.)[١]

وعبر بالمصـدر المؤول «**أَنْ أُوقِظَهُمَا**» دون الاسـم الصـريح إيقاظهما؛ ليتأتى التعبير بالمضـارع الذي يفيد الحدوث والتجدد والاسـتمرار؛ فهو لم يكره إيقاظهما فحسـب، بل تفنن في إراحتهما وبرهما، وكيف يكون هذا البر متجددًا ومستمرًا، وبدون المضـارع لن يكون هذا المعنى، فالمصـدر الصـريح لا يؤديه، ولذا عدل عنه إلى المصدر المؤول.

وفي رواية للبخاري (وَالقَدَحُ عَلَى يَدَيَّ) [٢] على التتميم لإفادة تأكيد وقوفه بجوار والديه حتى استيقاظهما، مما يؤكد تمام بره بوالديه، ورغبته الشديدة في تقديم العشاء لهما.

وبين «**نَائِمَانِ**» و «**أُوقِظَهُمَا**» طباق أدى إلى ترابط الأسـلوب عن طريق علاقة التضـاد؛ حيث إن الضـد أقرب خطورًا بالبال عند ذكر ضده، والضد يظهر حسنه الضد، وبضدها تتبين الأشياء، وفي ذلك ـ أيضًا ـ إيضاح وبيان للمعنى وتوكيد له.

وفي رواية لأحمد[٣] والطبراني[٤](أَيْقَظَهُمَا الصُّـبْحُ) على المجاز العقلي لعلاقة الزمانية؛ فقد أسـند الإيقاظ إلى زمنه، وهو الصبح، وفي ذلك ما فيه من الحرص على بر الوالدين، والرحمة بهما.

---

(١) – من أسرار التعبير القرآني دراسة تحليلية لسورة الأحزاب د/ محمد أبو موسى صـ٥٠، ٥١، نشر مكتبة وهبة، الطبعة الثانية ١٩٩٦م.

(٢) – صحيح البخاري بَابُ: مَنِ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَتَرَكَ الأَجِيرُ أَجْرَهُ، فَعَمِلَ فِيهِ المُسْتَأْجِرُ فَزَادَ، أَوْ مَنْ عَمِلَ فِي مَالِ غَيْرِهِ، فَاسْتَفْضَلَ، حديث رقم: (٢٢٧٢)، جـ٣صـ٩١.

(٣)– مسـند الإمام أحمد بن حنبل تحقيق: شـعيب الأرنؤوط – عادل مرشـد، وآخرين، إشـراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، باب: حديث النعمان بن بشير عن النبي، حديث رقم: (١٨٤١٧)، نشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.

(٤) – الدعاء للطبراني، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بَابُ: تَقَرُّبُ الْعَبْدِ إِلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَ الدُّعَاءِ بِصَالِحِ عَمَلِهِ، حديث رقم: (١٩٠)، نشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٣هـ.

كما ينبئ هذا التجوز إلى أن الصبح هو القائد الذي يوقظ الهمم، ويبعث النشاط.

«وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ رِجْلَيَّ»

«**وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ**» الجملة مستأنفة لبيان مكانة الصبية عند أبيهم، ومدى تأثره ببكائهم، ومع ذلك لم يقدمهم في الشراب على أبويه.

الصبية جمع الصَّبِيُّ: وهو من لم يبلغ الحلم[١] وقدم المسند إليه على خبره الفعلي لتقوية الحكم وتأكيده، أي تأكيد بكاء الأطفال لشدة جوعهم، وحاجتهم إلى شرب اللبن.

ومنشأ التقوية والتأكيد على ما يرى الإمام عبد القاهر ـــ رحمه الله ـــ "ما فيه من تشويق المخاطب؛ بسبب تقديم المسند إليه على خبره الفعلي، وتنبيهه على أنك قد أردت الحديث عنه، ليلتفت إليه؛ فيدخل على القلب دخول المأنوس به، ويقبله قبول المهيأ له المطمئن إليه، وذلك لا محالة أشد لثبوته، وأدخل في تحققه.[٢]

وعلل ذلك السكاكي ـ رحمه الله ـ بأن المبتدأ يستدعي أن يستند إليه شيء، فإذا جاء بعده ما يصلح أن يستند إليه صرفه إلى نفسه؛ فينعقد بينهما حكم، فإذا كان ما بعده متضمنا لضميره صرفه ذلك الضمير إليه ثانيًا؛ فيكتسي الحكم قوة[٣]؛ لتكرار الإسناد.

«**يَتَضَاغَوْنَ**» بالمعجمتين، أي: يتصايحون بالبكاء ويتوجعون بسبب الجوع، ويستغيثون منه، من ضَغَا يَضْغُو ضُغُوّاً وأَضْغَاه هُوَ إِضْغَاءً وضَغَّاه، وضَغَا الذِّئْبُ والسِّنَّوْرُ والثَّعْلَبُ يَضْغُو ضَغْواً وضُغَاءً: صَوَّتَ وصَاحَ.[٤]

---

(١) – المفردات في غريب القرآن، مادة: (ص ـ ب ـ ى)، صـ٤٧٥.

(٢) – ينظر: دلائل الإعجاز، صـ١٣٢.

(٣) – ينظر: مفتاح العلوم للسكاكي، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، صـــ٢٢١، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

(٤) – لسان العرب مادة: (ض ـ غ ـ ا)، جـ١٤ صـ٤٨٥.

وَهُوَ من بَاب التفاعل من: الضُّغاءُ: وهو صوْتُ الذَّليل المقهور إذا شُقَّ عَلَيْهِ.(١)

وعبر بالمضارع لاستحضار الصورة في ذهن المتلقي، وللدلالة على أن صياحهم مستمر ومتجدد، ففيه تصوير لبكاء الأطفال وكأنه ماثل ووقع أمامنا.

هذا واشتمال الجملة على ثلاثة أحرف من أحرف التفخيم وهي (الصاد والضاد والغين) بإيقاعها الضخم صور ضخامة هذا الحدث ومدى أثره على أبيهم.

كما نلحظ وضوحًا صوتيًا شديدًا ورنينًا مدويًا في الجملة؛ وذلك بسبب تكرار حرف النون؛ مما ضاعف من قوة إسماع الكلمات، وجعل للجملة إيقاعًا حاسمًا جليًا يتواءم مع جلاء معناها.

وقد استشكل تركه أولاده الصغار يبكون من الجوع طول ليلتهما مع قدرته على تسكين جوعهم فقيل كان في شرعهم تقديم نفقة الأصل على غيرهم وقيل يحتمل أن بكاءهم ليس عن الجوع، وقيل لعلهم كانوا يطلبون زيادة على سد الرمق وهذا أولى(٢)

إلا أن بعض روايات البخاري نصت على أن صياحهم كان بسبب الجوع (وَأَهْلِي وَعِيَالِي يَتَضَاغَوْنَ مِنَ الجُوعِ)(٣)؛ "فإنه يظهر من هذه الرواية أنهم ما كانوا يطلبون التفكه فقط، وإنما كانوا جائعين، والظاهر أن الرجل إنما لم يسقهم اللبن معتقدًا بأن أبويه مثلهم في الجوع، وهما أولى بالتقديم في السقي، وكان يتوقع استيقاظهما في كل لحظة؛ فأخر سقي صبيته بسبب هذا التوقع لا لأنه كان يريد أن يحرمهم من ذلك.

والحديث إنما جاء ثناء على نيته الخالصة لوجه الله ــ تعالى ــ وأنه لم يفعل ذلك إلا إيثارًا لوالديه على نفسه وأهله ابتغاء لمرضاة الله سبحانه فأثيب على ذلك أما أنه كان مصيبًا في هذا الاجتهاد أو مخطئًا

(١) – تهذيب اللغة للأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، مادة: (ض ـ غ ـ و)، جـ٨صـ١٤٧، نشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى ٢٠٠١م.

(٢) – فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر، جـ٦صـ٥١٠.

(٣) – صحيح البخاري بَابُ: حَدِيثِ الغَارِ، حديث رقم: (٣٤٦٥)، جـ٤صـ١٧٢.

فليس في هذا الحديث تعرض لهذه الجهة."[١]

وقوله «عِنْدَ رِجْلَيَّ» تتميم، أفاد مدى المعاناة التي لاقاها هذا الرجل.

«فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبِي وَدَأْبَهُمَا، حَتَّى طَلَعَ الفَجْرُ»

«فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ» أي: القيام فوق أبويه، وعدم استيقاظهما.

واستعمل اسم الإشارة للبعيد للدلالة على بعد مكانة هذا العمل، وعلو منزلة برالوالدين.

«دَأْبِي وَدَأْبَهُمَا حَتَّى طَلَعَ الفَجْرُ» أي شأني وشأنهما وحالي اللازمة لي؛ حتى طلوع الفجر الصادق.

يقول ابن فارس: "الدَّالُ وَالْهَمْزَةُ وَالْبَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى مُلَازَمَةٍ وَدَوَامٍ. فالدأبُ: العادة والشأن".[٢]

وفي التعبير بحرف الانتهاء والغاية «حَتَّى» دلالة على أن هذا الرجل امتلك البر كله، واحتازه بأكمله حتى بلغ في ذلك الغاية، ووصل فيه إلى النهاية، حيث لم يبق لأحد منه شيء.

وقد أدى هذا العامل - «حَتَّى»ـ "دوراً مهمّاً في توجيه الخطاب الحجاجيّ وتقويّته وتماسكه وترتيبه في آنٍ؛ وذلك لأنه "هذا العامل" في الملفوظ الحجاجي يساعد على تقوية إيقان المتقبّل بالنتيجة، بل إن العامل قبل ذلك يرسم له صورة المسلك الذي ينبغي عليه أن يقطعه، للوصول إلى النتيجة، وهو في أثناء ذلك كله يقوّي النتيجة التي يروم الملفوظ إيصالها"[٣] (

وتوحي دلالة الغاية هنا بالإصرار على تقديم الشراب لأبويه وتقديمهما فيه.

«اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ»

عبر بـ «اللَّهُمَّ» في بداية التوسل - ههنا -؛ ليدل على "تيقن المجيب في الجواب المقترن بـ «اللَّهُمَّ»، فكأنه

---

(١) - الكوكب الوهَّاج والرَّوض البَهَّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لمحمد الأمين بن عبد الله الأُرَمي، مراجعة: لجنة من العلماء برئاسة البرفسور هاشم محمد علي مهدي، جـ٢٥صـ١٧٤، نشر: دار المنهاج - دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م.

(٢) - مقاييس اللغة، مادة: (د-أ-ب).

٣- العوامل الحجاجيّة في اللغة العربيّة، ص١٣٤.

يناديه -سبحانه وتعالى - مستشهدًا على ما قال من الجواب[١].

وجاء قوله «**اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ**» على خلاف الظاهر؛ لأن المؤمن يعلم قطعًا بأن الله ـــ تعالى ـــ عالم بذلك؛ فلا مجال لحرف الشك فيه.

"وأجيب: بأنه تردد في عمله ذلك هل له اعتبار عند الله أم لا؟ فكأنه قال: إن كان عملي ذلك مقبولًا عندك"[٢] فأجب دعائي، "وبهذا التقرير يظهر أن قوله «**اللَّهُمَّ**» على بابها في النداء[٣]

وجاءت مناجاة الثلاثة بهذا الأسلوب "فلم يعتقد أحد منهم في عمله الإخلاص، بل أحال أمره إلى الله، فإذا لم يجزموا بالإخلاص فيه مع كونه أحسن أعمالهم فغيره أولى؛ فيستفاد منه: أن الذي يصلح في مثل هذا أن يعتقد الشخص تقصيره في نفسه ويسيء الظن بها، ويبحث على كل واحد من عمله يظن أنه أخلص فيه، فيفوض أمره إلى الله، ويعلق الدعاء على علم الله به؛ فحينئذ يكون- إذا دعا- راجيًا للإجابة خائفًا من الرد، فإن لم يغلب على ظنه إخلاصه ولو في عمل واحد، فليقف عند حده ويستحي أن يسأل بعمل ليس بخالص.[٤]

وهكذا حال كل من دعا إلى الله -تعالى- بنيه صادقة وتوسل إليه بما صنعه لوجهه خالصًا ترجى له الإجابة، ولم يفعلوا ذلك إلا لإظهار شدة حاجتهم إلى الله - سبحانه وتعالى- ولضعفهم عن دفع ما مسهم من ضر، ولإيمانهم أن لا منجي إلا الله -سبحانه وتعالى-

هذا ولأسلوب الشرط عامة مزية في بناء الكلام حيث إنه يمزج بين المعاني ويربط بينها برباط وثيق، ويجعل الجمل في دلالته بمنزلة المفردات في الجمل غير الشرطية.[٥]

---

(١) - عمدة القاري شرح صحيح البخاري جـ٢صـ٢١.

(٢) - إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني، جـ٤صـ١٨١، نشر: المطبعة الكبرى الأميرية مصر، الطبعة: السابعة ١٣٢٣هـ.

(٣) - فتح الباري شرح صحيح البخاري للعسقلاني، جـ٦صـ٥٠٧.

(٤) - ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، جـ٦صـ٥١٠.

(٥) - دلالات التراكيب للدكتور/ محمد أبو موسى، صـ ١٩٩.

فحكم جملتي الشـرط والجزاء في الكلام "حكمُ جملة واحدة، من حيث دخل في الكلام معنًى يربط إحداهما بالأخرى، حتى صارت الجملة لذلك بمنزلة الاسم المفرد في امتناع أن تحصل به الفائدة، فلو قلت: إن تأتني وسكتَّ، لم تفدْ كما لا تفيد إذا قلت: زيد وسكتَّ، فلم تذكر اسمًا آخر ولا فعلًا، ولا كان منويًّا في النفس معلومًا من دليل الحال"(١)

فضلًا عما فيه من "طاقة بلاغية وشحنة قوية من إثارة الانتباه والترقب والانتظار، والتطلع إلى مجيء جواب الشرط بعد استرسال النفس في إدراك معاني فعل الشرط في أول الجملة الشرطية، فلا تزال النفس مندمجة في تأمل معنى الشـرط وفعله وجملته متأنية متفهمة واعية له في تأمل وانتظار لمجيء جوابه، حتى إذا ما وصلت إلى الجواب ووصل إليها الجواب بعد طول غياب وانتظار وقع منها موقع الشيء المنتظر، فتمكن منها فضل تمكن، وقر في أعماقها أي قرار"(٢)

ففيه نوع من التشويق والإثارة للمتلقي، حيث إنه حينما يسمع جملة الشرط فإن نفسه تتوق وتتشوق إلى جملة الجواب، فإذا جاءته بعد هذا التشـوق والترقب وجدت النفس مهيأة لاسـتقبالها، فتدخل عليها دخول المأنوس به، وتتمكن منها فضل تمكن.

«**أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ**» أي بري بأبوي والقيام على رأسيهما باللبن طول الليل.

وجاء اسم الإشارة مشارًا به إلى البعيد لتمييزه أكمل تمييز؛ لصحة إحضاره في ذهن المتلقي.

«**ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ**» طلبًا لمرضاتك.

وإيثار الابتغاء على الطلب؛ لما فيه من إشـعار برغبتهم في تفريج كربتهم؛ فهو بغيتهم ومقصـدهم، وأنهم ما فعلوا ذلك إلا ابتغاء وجه الله تعالى؛ ومادام الأمر كذلك فحري بهم أن يفرج عنهم.

---

(١) – أسرار البلاغة صـ١١١.

(٢) – ينظر: مع سورة الواقعة دراسة وتحليل فاتحة السورة، مقال بمجلة الوعي الإسلامي، صـ٧٤، العدد (٢٧٣) ١٤٠٧هـ١٩٨٧م.

«فَافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ، قَالَ: فَفُرِجَ عَنْهُمْ»

«فَافْرُجْ» بهمزة الوصل، وضم الراء من الفَرَج، وبابه نصر ينصُر(١)

وخرج الأمر هنا من معناه الحقيقي إلى الدعاء والتضرع إلى الله تعالى وقوله: «فَافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ» جملة جواب الشرط، وصدرت بالفاء لربط الجواب بالشرط، فهي تشد جملة الجواب، وتربطها بجملة الشرط؛ حتى يصبحا كالجملة الواحدة؛ وفي هذا تماسك للأسلوب، وتلاحم لأجزائه، وتشابك لأطرافه.

وجاء جواب الشرط جملة فعلية فعلها فعل الأمر للتضرع إلى الله -سبحانه وتعالى- والإلحاح في الطلب، وإبراز مدى رجاء الداعي تحقق مضمون الجواب، وهو تفريج كربه بإزاحة الصخرة.

ومن محاسن بناء الجواب ـ هنا ـ الإيجاز، وهو يتناسب مع جو الداعي المضطر؛ حيث تضيق نفسه ذرعًا من شدة ما هو فيه.

«فُرْجَةً» الْفُرْجَةُ: بِالضَّمِّ فُرْجَةُ الْحَائِطِ وَمَا أَشْبَهَهُ. وهو: الشق، يُقَالُ: بَيْنَهُمَا فُرْجَةٌ أَيِ انْفِرَاجٌ.(٢)

والْفُرْجَةُ: انفراج الهم والكرب يقول أمية بن أبي الصلت:

رُبَّمـا تَـجـزَعُ النُـفـوسُ مِـنَ

الأَمـرِ لَهُ فَـرجَـةٌ كَـحَـلِّ العِـقـالِ(٣)

وجمعُ الفُرْجَة فُرُجاتٌ، كظُلُماتٍ.

والتنوين فيها للتقليل أي: فرجة قليلة.

وفي مجيئها مفردة أعني كلمة «فُرْجَةً» نكتة تفصح عن وظيفة هذه الفرجة، حين جاءت مفردة، إذ إن مؤدى وظيفتها أن يروا منها السماء فحسب، ورؤية السماء إرهاص يبشر بالفرج، كما أن رؤية السماء ـ أيضًا ـ قد تحصل بفرجة واحدة، وأحسب أن الإفراد هنا جاء مراعاة لتسلسل الأحداث. كما أننا يمكن

(١) - ينظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري جـ١٢ صـ٢٤.

(٢) - مختار الصحاح مادة: (ف ـ ر ـ ج)

(٣) - مجمل اللغة مادة: (ف ـ ر ـ ج)

أن نعد هذه الفرجة كفيلة بأن تفتح لنا منفذًا مضيئًا يطلعنا على بقية الأحداث إلى نهاية النص، وفي ذلك اكتمال لهذه اللوحة القصصية الجميلة، واستدعاء للمتلقي بأن يتابع هذا الاكتمال، ولذلك جاء التعبير بعدها بقوله: «**فَفُرِجَ عَنْهُمْ**» ولو أراد عز وجل أن تنفرج الصخرة من أول وهلة لانفرجت، ولكنه سبحانه وتعالى أراد أن يبقي هذه الصخرة، حتى يتم لكل واحد منهم ما أراد أن يتوسل به من صالح الأعمال.(١)

وقوله «**نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ**» جملة في محل نصب صفة لـ «**فُرْجَةً**»، وفيه تقييد لإطلاق قوله في رواية للبخاري: (فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ)(٢)

وقدم المتعلق «**مِنْهَا**» لإفادة الاختصاص؛ فرؤية السماء لا يتحقق إلا من خلال هذه الفرجة.

فاستجاب الله له، «**فَفُرِجَ عَنْهُمْ**» فرجة رأوا منها السماء، وذلك بعدما توسل بأرجى عمل صالح عمله وهو بر الوالدين.

وعبر بالفعل المبني للمجهول «**فَفُرِجَ عَنْهُمْ**» تأكيدًا للاهتمام بالحدث المجرد، وإشارة إلى خطورة الأمر، وهو تفريج كربتهم، وتصويرًا لسرعة إجابة الله لهم وتفريج كربتهم.

فحذف الفاعل للعلم به نقل الاهتمام من الفاعلية إلى الحدثية، والتركيز على الحدث وهو (تفريج الكربة)

وحذف الفاعل في قوله: «**فَفُرِجَ عَنْهُمْ**» لوضوحه والعلم به، كما يدل هذا الحذف وبناء الفعل للمفعول على تعظيم وتفخيم هذه الفرجة؛ وينبئ عن قدرة الله ـ تعالى ـ التي أزاحت الصخرة عن جزء من باب الغار.

ومن أهم مزايا هذا النوع من الحذف الاختزال في المبنى مقابل الاتساع في المعنى.

وإذا أبهم المسند إليه بالحذف "حصل للنفس ألم؛ لجهلها به، وإذا التفتت إلى القرينة تفطنت له،

---

(١) – ينظر: شرح رياض الصالحين لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين، جـ١ صـ٨١، نشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: ١٤٢٦هـ.

(٢) – صحيح البخاري، بَابُ: مَنِ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَتَرَكَ الأَجِيرُ أَجْرَهُ، فَعَمِلَ فِيهِ المُسْتَأْجِرُ فَزَادَ، أَوْ مَنْ عَمِلَ فِي مَالِ غَيْرِهِ، فَاسْتَفْضَلَ، حديث رقم: (٢٢٧٢)، جـ٣صـ٩١.

فيحصل لها اللذة بالعلم به. واللذة الحاصلة بعد الألم أقوى من اللذة الحاصلة ابتداء. ومنها أنه لو ذكر المسند إليه مع المسند انتقل الذهن من اللفظ إلى معناه من غير تجشم كسب؛ لا تحصل للنفس لذة ولا ذوق بإدراك معناه"(١)

هذا وقد جاءت عبارة الحديث الشريف عن هذه النهاية الطيبة منطوية على كثير من اللطائف البلاغية، حيث عطفت على ما قبلها بفاء التفريع للدلالة على أن مضمونها متفرع على مضمون ما قبلها، وأنها مبنية على مقدمة سابقة هي: «**فَافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ**» وكرر هذا القول بعد الفاء لتحقيق التلاحم بين المشاهد؛ بجعل بداية هذا المشهد هي نهاية المشهد السابق عليه؛ فتبدو أجزاء الحلقة شديدة الترابط؛ مع اختلاف أزمنة وأمكنة حدوثها.

وكرر ذلك في القصص الثلاث.

وجاء التعبير دقيقًا بإيحائه النفسي، فالوالدان يغطان في النوم، والابن قائم على رأسيهما، والصبية يتضاغون، أي مقابلة نفسية كبيرة بين بكاء الأطفال وتصبر الوالد وتماسكه حتى يستيقظ الوالدان، وهنا ـ أيضًا ـ فهم الغرض الخلقي من مراعاة حقوق الوالدين فهما تأثيريًا لم ينبع من الوعظ، ولكن من رسم المشهد في أدق صورته، وهنا ثالثًا جاءت النتيجة السارة المرتقبة؛ إذ تزحزحت الصخرة؛ فرأوا لون السماء، وعرفوا كيف يتنفسون"(٢)

ولا يخفى أثر المدود في مناجاته لربه ومناسبتها للسياق؛ فأصوات المد تمنح فرصة التشكي والتأوه للإنسان الحزين، الذي يتألم لحاله؛ فالرجل يستوقف الزمن في لحظة تأمل وأسف وحسرة مما هم فيه من أمر الصخرة، فاستعمال المدود، في سياق هذا الرد ناسبت سياق المناجاة، فكانت أكثر عمقًا وارتباطًا بما يحس به الرجل، وبما يناسب طلبه الصفح والمغفرة من الله عز وجل.

---

(١) – الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، لمحمد بن علي الجرجاني، تحقيق: الدكتور/ عبد القادر حسين، صـ٣٣، دار نهضة مصر.

(٢) – البيان النبوي صـ١٣٠، ١٣١.

الخصائص البلاغية:

بمراجعة التحليل البلاغي لجمل قصة الرجل البار بأبويه يتبين لنا أنها تتميز بمجموعة خصائص بلاغية من أهمها ما يلي:

١- شيوع حروف الذلاقة " الراء، والباء، والميم، والنون، واللام، والفاء" التي توحي بالأجواء النفسية للأصحاب الثلاثة، وتدل على مدى مجاهدتهم وإيبائهم.

ولما تمتاز به هذه الأصوات من وضوح سمعي، إذ إن الأصحاب الثلاثة يريدون أن يحدثوا تأثيرًا ما لدى المتلقي بالتركيز على هذه الأصوات. فالتكرار وسيلة لإثراء الموقف النفسي، وحشد المواقف والإحساسات.

كما يؤدي (تكرار الحروف دورًا عظيمًا في الموسيقا اللفظية؛ إذ قد تشترك الكلمات في حرف واحد أو أكثر، ويكون لهذا الاشتراك فائدة موسيقية عظيمة، وقيمة نغمية جليلة تؤدي إلى زيادة الأداء بالمضمون الشعري)[١].

٢- شيوع التضعيف فقد ورد في ثلاث عشرة كلمة.

وقد أسهم شيوع التضعيف في تمثيل معاني الألم والرفض، والشعور بالضيق، وأكد المعنى؛ فأدى وظيفة انفعالية ومعنوية. فهو أشبه بسياق المعنى.

كما أن في التضعيف تخفيفًا من حدَّة الانفعال، وذلك بتكرار الضغط على الحرف المشدد[٢] وإشعاراً بقيمة الحدث وشدة وقعه وأثره في نفس الأصحاب الثلاثة.

٣- اتسمت القصة بالدقة في اختيار الألفاظ؛ واختيار الكلمات ذات المقاطع الطويلة تصويرًا لآهات الأصحاب الثلاثة؛ فهي تعكس امتداد الصوت والنفس، واستطالة الآهات.

فألفاظ القصة تميزت بالدقة في الاختيار وبسعة الدلالات وتنوعها وبإثارة الخيال وبقوة التأثير في

---

(١) أبو فراس الحمداني الموقف والتشكيل الجمالي، صـ٥٠١.

(٢) ينظر: الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه للدكتور/ محمد النويهي جـ١ صـ٦٥، نشر الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠١٠م.

المتلقين.

٤- غلبة التعريف حيث ورد في اثنين وعشرين مواضعًا؛ كان النصيب الأكبر منها لتعريف المسند إليه حيث ورد معرفة في أربعة عشر موضعًا؛ فعرف بـــ"الضمير" في عشرة مواضع، وعرف بـــ(ال) في موضعين، وعرف بالإضافة في موضع، وعرف بالإشارة في موضع آخر. وعرف المسند في ثمانية مواضع؛ عرف بالضمير في ثلاثة مواضع، وعرف بالإضافة في موضعين، وعرف بـــ(ال) في موضعين، وعرف بالإشارة في موضع واحد.

في حين ورد التنكير في موضع واحد، وكان من نصيب المسند.

٥- شيوع الأسلوب الخبري حيث ورد أربعًا وعشرين مرة؛ كان النصيب الأكبر للخبر الابتدائي؛ حيث ورد اثنين وعشرين مرة، وورد الخبر الطلبي مرتين.

في حين ورد الأسلوب الإنشائي أربع مرات؛ ثلاثة منها إنشاء طلبي ــ حيث ورد أسلوب النداء مرتين، وورد أسلوب الأمر مرة واحدةــ وواحدة إنشاء غير طلبي بأسلوب الشرط؛ وذلك لاعتماد الحديث على الأسلوب التقريري القصصي.

٦- شيوع التعبير بالجملة الفعلية؛ حيث وردت إحدى وعشرين مرة. كان النصيب الأكبر منها للفعل المضارع؛ فقد جاء في أحد عشر موضعًا؛ ليدل تجدد واستمرار بر هذا الرجل بأبويه؛ وليؤكد تحقق هذا البر جاء بالفعل الماضي في تسعة مواضع، وجاء فعل الأمر الدال على الدعاء مرة واحدة.

أما الجملة الاسمية فقد وردت ثماني مرات؛ وفي هذا دلالة اعتماد القصة على الحركة واهتمامها بعنصر الزمن.

٧- شيوع العطف بـ(فاء) العطف المفيدة للترتيب والتعقيب؛ حيث ورد في اثني عشر موضعًا.

وجاء العطف بـ(ثم) المفيدة للتراخي في موضعين اثنين، وجاء العطف بـ(الواو) مرة واحدة.

أما الفصل فورد في ثلاثة مواضع.

٨- شيوع الضمائر التي تحيل إلى مرجع واحد في القصة؛ فهناك ضمير الغائب في (فَإِذَا هُمَا نَائِمَانِ، أُوقِظَهُمَا، وَدَأْبَهُمَا) اتحدت هذه الضمائر في مرجعيتها إلى المذكور الأول (كَانَ لِي أَبَوَانِ).

وضـــمير المتكلم في (إِنِّي، كَـانَ لِي أَبَوَانِ، أَبَوَيَّ، أَهْلِي، امْرَأَتِي، رِجْلَيَّ، دَأْبِي، أَنِّي) اتحـدت هـذه الضمائر في مرجعيتها إلى المذكور الأول (فَقَالَ أَحَدُهُمْ).

وهذه الإحالة حققت التماسـك النصـي للقصـة، وهي ـــ أعني الإحالة ـــ تعد من أهم الروابط بين مكونات الخطاب؛ حيث تقدمه في صـورة جمل متسـلسـلة، سـهلة الاسـتيعاب والتذكر، وهو ما يسـهل التعايش مع الخطاب، ومن ثم الاقتناع به، والإذعان لما جاء فيه.

٩ – شـيوع الفنون البديعية؛ حيث وردت في خمسـة مواضـع، فوردت مراعاة النظير في موضـعين، وورد كل من الطباق والجناس والمذهب الكلامي في موضع واحد.

المبحث الثالث

خصائص النظم النبوي في قصة الرجل العاف عن الحرام

وتأتي قصة هذا الرجل كواسطة العقد في سلسلة هذه القصص الثلاث.

«وَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ أُحِبُّ امْرَأَةً مِنْ بَنَاتِ عَمِّي كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرَّجُلُ النِّسَاءَ، فَقَالَتْ: لاَ تَنَالُ ذَلِكَ مِنْهَا حَتَّى تُعْطِيَهَا مِائَةَ دِينَارٍ، فَسَعَيْتُ فِيهَا حَتَّى جَمَعْتُهَا، فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا قَالَتْ: اتَّقِ اللهَ وَلاَ تَفُضَّ الخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَقُمْتُ وَتَرَكْتُهَا، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً، قَالَ: فَفَرَجَ عَنْهُمُ الثُّلُثَيْنِ».

المبحث الثالث: خصائص النظم النبوي في قصة الرجل العاف عن الحرام

«وَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ أُحِبُّ امْرَأَةً مِنْ بَنَاتِ عَمِّي كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرَّجُلُ النِّسَاءَ»

«وَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ أُحِبُّ امْرَأَةً مِنْ بَنَاتِ عَمِّي»

الواو واو الاستئناف أو واو القصة، وهي الواو التي تعطف عدة جمل مسوقة لغرض على عدة جمل أخرى مسوقة لغرض آخر، ويشترط في هذا العطف التناسب بين غرضي المجموعين دون التناسب بين آحاد الجمل الواقعة في كل مجموع.

فهي عاطفة لقصة هذا الرجل الذي أحب ابنة عمه على قصة ذلك الرجل البار بأبويه؛ لتلتحم هذه المشاهد كلها مكونة السياق العام للحديث، ويبدو الحديث مع تعدد هذه المشاهد في وحدة نصية كاملة.

وبذلك يكون هذا المشهد قد ارتبط ارتباطًا قويًا ومحكمًا عن طريق هذه العلاقات والخيوط الممتدة من أول الحديث إلى آخره؛ مما جعله لبنة محكمة في هذا البناء.

وفي رواية للبخاري (إِنَّهَا كَانَتْ لِي بِنْتُ عَمٍّ)[١] أي قصتي أن لي بنت عم، وقدم المسند (لِي)على المسند إليه (بِنْتُ عَمٍّ)لإفادة الاختصاص، وهذا الاختصاص هو الذي أنتج لنا تشويق المخاطب لأن يعرف ما يستتر وراء هذا الاختصاص من سرد لحالة هذا الرجل الذي تحدثه نفسه بعمل السوء فيوشك أن يفعل، إلا أن تخويف الفتاة منعه من الإقدام على ذلك، وما كان تدفق تلك الدلالة ليظهر لولا هذا التقديم الذي أنتجها.[٢]

«**أُحِبُّ**» الحُبُّ: نَقِيضُ البُغْضِ.[٣] وهُوَ: "مَيْلُ النَّفْسِ إِلَى الْحُسْنِ عِنْدَهَا بِمُعَايَنَةٍ أَوْ سَمَاعٍ أَوْ حُصُولِ نَفْعٍ مُحَقَّقٍ أَوْ مَوْهُومٍ لِعَدَمِ انْحِصَارِ الْمَحَبَّةِ فِي مَيْلِ النَّفْسِ إِلَى الْمَرْئِيَّاتِ خِلَافًا لِبَعْضِ أَهْلِ اللُّغَةِ فَإِنَّ الْمَيْلَ إِلَى الْخُلُقِ (بِضَمِّ الْخَاءِ) الْحَسَنِ وَإِلَى الْفِعْلِ الْحَسَنِ وَالْكَمَالِ، مَحَبَّةٌ أَشَدُّ مِنْ مَحَبَّةِ مَحَاسِنِ الذَّاتِ"[٤]

وعبر بالحب «**أُحِبُّ**» دون الوُد وما شابهه؛ لإضفاء معنى اللزوم والثبات والدوام على حبه لابنة عمه.

فالْحَاءُ وَالْبَاءُ ـ كما يقول ابن فارس ـ أُصُولٌ ثَلَاثَةٌ، أَحَدُهَا اللُّزُومُ وَالثَّبَاتُ، وَالْآخَرُ الْحَبَّةُ مِنَ الشَّيْءِ ذِي الْحَبِّ، وَالثَّالِثُ وَصْفُ الْقِصَرِ.

وَأَمَّا اللُّزُومُ فَالْحُبُّ وَالْمَحَبَّةُ، اشْتِقَاقُهُ مِنْ أَحَبَّهُ إِذَا لَزِمَهُ. وَالْمُحِبُّ: الْبَعِيرُ الَّذِي يَحْسِرُ(يتعب) فَيَلْزَمُ مَكَانَهُ.[٥]

كما يتميز الحب بأنه يستعمل في الميل إلى الخير، ويستعمل في الميل إلى الشر، كحب الخلود إلى الراحة وترك القتال؛ فهذا أمر محبوب بالطبع؛ لما فيه من التباعد عن الشر والأذى كالقتل والهلاك

(١) – صحيح البخاري، بَابُ: إِذَا زَرَعَ بِمَالِ قَوْمٍ بِغَيْرِ إِذْنِهِمْ، وَكَانَ فِي ذَلِكَ صَلاَحٌ لَهُمْ، حديث رقم: (٢٣٣٣)، جـ٣صـ١٠٥.

(٢) – ينظر: القصة في الحديث النبوي دراسة أسلوبية صـ٢٦٣، ٢٦٤.

(٣) – لسان العرب مادة: (ح ـ ب ـ ب)، جـ١صـ٢٨٩.

(٤) – التحرير والتنوير جـ٢صـ٩٠.

(٥) – مقاييس اللغة مادة: (ح ـ ب ـ ب)، جـ٢صـ٢٦.

ونهب الأموال. يقول تعالى: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} (البقرة:٢١٦)

بخلاف الوُدّ وهو: محبّة الشيء، وتمنّي حصوله، ويستعمل في كلّ واحد من المعنيين على أن التّمنّي يتضمّن معنى الودّ، لأنّ التّمنّي هو تشهّي حصول ما تَوَدُّهُ.(١)

فمن استعماله بمعنى المحبة والألفة الخالصة قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا }(مريم:٩٦)، وقوله تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}(الروم:٢١)

ومن استعماله بمعنى التمني قوله تعالى: {وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ}(البقرة:٩٦)(٢)

«**كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرَّجُلُ النِّسَاءَ**»

«**أَشَدّ**» يجوز أن يكون صفة مصدر محذوف، و «**مَا**» مصدرية أي أحبها حبًا مثل أشد حب الرجال النساء؛ وعليه تكون الكاف زائدة.

ويجوز أن يكون حالًا؛ أي: أحبها مشابهًا حبي أشد حب الرجال النساء، "أراد تشبيه محبته بأشد المحاب"(٣)؛ وعليه تكون الكاف غير زائدة،

ونظيره قوله تعالى: {يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً} [النساء: ٧٧]، فإن قوله تعالى: {أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً} حال على تقدير: مشبهين أشد خشية من أهل خشية الله.(٤)

---

(١) – المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، مادة: (و ـ د ـ د)، صـ٨٦٠، نشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى١٤١٢هـ.

(٢) – ينظر: معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم صـ١٩٤وما بعدها.

(٣) – إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري جـ٤صـ١٨١.

(٤) – ينظر: الكاشف عن حقائق السنن للطيبي، تحقيق: د/ عبد الحميد هنداوي، جـ١٠صـ ٣١٧٠، نشر: مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة – الرياض)، الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ١٩٩٧م.

وبيَّن في رواية سالم سبب إجابتها بعد امتناعها فقال: (فَامْتَنَعَتْ مِنِّي حَتَّى أَلَمَّتْ بِهَا سَنَةٌ مِنَ السِّنِينَ، فَجَاءَتْنِي فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِائَةَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا، فَفَعَلَتْ)[1] ويجمع بينه وبين رواية نافع بأنها امتنعت أولا عفة ودافعت بطلب المال فلما احتاجت أجابت.[2]

وفي الجملة مجاز عقلي علاقته الزمانية؛ حيث أسند الفعل (أَلَمَّتْ) إلى السنة، حين شبه السنة بالشيء المحيط بالإنسان، في قوله: (أَلَمَّتْ)، فسبب امتناع هذه المرأة ابتداءً هو استعفافها، واستجابة لنداء الطهر والفضيلة، وسبب إجابتها بعد ذلك هو أنها ألمت بها سنة من سنوات القحط العجاف.

وفي رواية للبخاري (فَأَرَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا)[3] أي بسبب نفسها أو من جهتها وَلِلْحَمَوِيِّ وَالْمُسْتَمْلِي: على نفسها أي مستعلية عليها، وهي كناية عن طلب الجماع.[4]

ومن المعلوم أن الكناية (تحمل في طواياها نفحة من نفحات المبالغة التي تضفى على المعنى حسنًا وبهاء، وتزيد الصورة وضوحًا وجلاء)[5]

ولا شك أن للكناية أثرًا كبيرًا في تحسين الأسلوب، وتزيين الفكرة (فهي في العبارة الأدبية كالدرة اليتيمة في العقد، وكالخال في خد الحسناء، وكالزهرة الجميلة في الروضة الفيحاء، تضفي عليها جمالاً أخَّاذًا، وسحرًا حلالًا، وتكسوها رونقًا وبهاءً، فتسترعي الانتباه، وتسترق الأسماع، وتبهر الألباب،

(١) – صحيح البخاري، بَابُ: مَنِ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَتَرَكَ الأَجِيرُ أَجْرَهُ، فَعَمِلَ فِيهِ المُسْتَأْجِرُ فَزَادَ، أَوْ مَنْ عَمِلَ فِي مَالِ غَيْرِهِ، فَاسْتَفْضَلَ، حديث رقم: (٢٢٧٢)، جـ٣صـ٩١.

(٢) – فتح الباري شرح صحيح البخاري، جـ٦صـ٥٠٩.

(٣) – صحيح البخاري، بَابُ مَنِ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَتَرَكَ الأَجِيرُ أَجْرَهُ، فَعَمِلَ فِيهِ المُسْتَأْجِرُ فَزَادَ، أَوْ مَنْ عَمِلَ فِي مَالِ غَيْرِهِ، فَاسْتَفْضَلَ، حديث رقم: (٢٢٧٢)، جـ٣صـ٩١.

(٤) – إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني، جـ٤صـ١٣٤، نشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر الطبعة: السابعة ١٣٢٣هـ.

(٥) – ينظر: البلاغة العربية في ثوبها الجديد جـ٢صـ١٦٨، د/ بكر شيخ أمين الطبعة الثالثة، نشر: دار العلم للملايين ١٩٩٣م.

وتذوب النفس تأثرًا بجمالها، وتتراقص العواطف تهيأً لعناقها، وتتحرك الإحساسات مفتونة بحسنها وجمالها.)[١]

وفي قوله «**النِّسَاءَ**» خروج للكلام على خلاف مقتضى الظاهر بوضع الجمع موضع المفرد، ومقتضى الظاهر أن يقول مثلًا: (كأشد ما يحب الرجل المرأة)، ولكنه آثر الجمع مقابلًا للإفراد، كما في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ} (الطلاق:١)

«فَقَالَتْ: لاَ تَنَالُ ذَلِكَ مِنْهَا حَتَّى تُعْطِيَهَا مِائَةَ دِينَارٍ»

«فَقَالَتْ: لاَ تَنَالُ ذَلِكَ مِنْهَا»

والسر في استخدام حرف النفي(لا) دون غيره؛ لما فيه من امتداد الصوت وانطلاقه، والذي يشعر بتطاول زمن النفي[٢]، "وأن النفي به حرى أن يكون للتأبيد"[٣]، وهذا يعضد المعنى الذي تريده المرأة، وهو استحالة أن ينال منها الرجل مأربه.

فهي دالة بجرسها على انتفاء الفعل إلى أبعد مدى يمكن أن يتصوره الإنسان.

وفي التعبير باسم الإشارة تحقير للمطلوب، ودلالة على أنه مما لا يصح أن يطلب، كما أن فيه استعظامًا للمشار إليه وتفخيمًا لشأنه؛ مما يزيد العجب.

وفيه التفات من التكلم إلى الغيبة؛ لأن مقتضى الكلام: لا تنال مني حتى تعطيني؛ إلا أنها التفت إلى الغيبة عند ذكر الفاحشة طردًا للفاحشة عن ساحتها، وتبعيدًا لها عن معصية الله؛ فهو التفات في غاية الحسن.

كما أن فيه إيقاظًا ولفتًا عند هذا المقطع المهم من مقاطع المعنى؛ ليجدد نشاط السامع؛ فلا شك أن

---

(١) – الأسلوب الكنائي نشأته، تطوره، بلاغته، لأستاذنا الدكتور / محمود السيد شيخون– رحمه الله– صـ٨٧.

(٢) – نتائج الفكر، للسهيلي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، صـ١٠١، نشر: دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان / الطبعة الأولى: ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.

(٣) – ينظر: قراءة في الأدب القديم، د/ محمد أبو موسى، صـ٢٠٧، نشر: مكتبة وهبة، الطبعة الثانية، ١٩٩٨م.

الكلام (إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب، كان ذلك الكلام أحسن تطرية لنشاط السامع، وكان أكثر إيقاظًا للإصغاء إلى ذلك الكلام؛ لأن لكل جديد لذة.)[1] فإن السامع ربما مَلَّ من أسلوب فينقله إلى أسلوب آخر تنشيطًا له، واستمالة له في الإصغاء.

«**حَتَّى تُعْطِيَهَا مِائَةَ دِينَارٍ**» كأنها طلبت ذلك لتعجزه عن الحصول على هذه المائة دينار، وإلا فهي امرأة عفيفة حرة تأبى أن تقع في الحرام، لكن لما طلبها وتمكن منها أرادت أن تهرب من الرذيلة بهذا الشرط."[2]

و «**حَتَّى**» هنا بمعنى (إلى) لانتهاء الغاية؛ فهي غاية لما تقدَّم من النهي عن الظفر بالمطلوب، ومجرورها مصدر مؤول من أن والفعل المضارع، كما في قوله تعالى: {وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ}(البقرة:٢١٤)؛ لأن التقدير: إلى أن يقول.

و «**حَتَّى**» إنما يُنْصَبُ بعدها المضارع المستقبل، وهذا قد وقع ومَضَى. فالجوابُ: أنه على حكاية الحال، حكى تلك الحال.[3]

«**فَسَعَيْتُ فِيهَا حَتَّى جَمَعْتُهَا**»

وفي العطف بالفاء المفيد للترتيب والتعقيب دلالة على شدة حرصه على الوصول إلى مبتغاه.

«**فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا**»

الفاء في قوله: «**فَلَمَّا**» فصيحة معربة عن مقدر قد حذف تعويلًا على شهادة الحال، وإيذانًا بعدم الحاجة إلى التصريح به؛ لعدم توقع رفضها بعد تحقق الشرط. والتقدير: فأتى لها بالمائة دينار؛ فوافقت على طلبه؛ فلما قعد بين رجليها.

---

(١) – محاضرات في البلاغة العربية لأستاذنا الدكتور/ محمود السيد شيخون– تغمد ه الله برحمته – صـ١١٣.

(٢) – شرح صحيح مسلم لأبي الأشبال حسن الزهيري، ٥٣/ ١٥، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.

(٣) – الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي، تحقيق: الدكتور/ أحمد محمد الخراط، جـ٢صـ٣٨٢، نشر: دار القلم، دمشق.

و «**لَمَّا**» الصحيح أنها حرف وجود لوجود، وقيل: إنها ظرف بمعنى (إذ)، فيه معنى الشرط؛ وذلك لدخولها على فعل ماض «**قَعَدْتُ**» لفظًا ومعنى(١)

وجاء النظم على صورة الشرط وجوابه مع كون أداة الشرط «**لَمَّا**» التي هي حرف وجود لوجود، أو وجوب لوجوب كما يقول بعض النحاة(٢) للإشعار بتحقق رفضها للفاحشة بعد تحقق الشرط، ودعوتها له بتقوى الله تعالى.

والشرط بـ «**لَمَّا**» يؤذن – في هذا المقام – بعدم وجود وقت يذكر بين قعوده بين رجليها وأمرها له بتقوى الله؛ فهذا القول كان منها بلا ريث ولا إبطاء، أي ما إن قعد بين رجليها حتى قالت اتق الله؛ وذلك دليل على فرط خوفها من الله تعالى.

«**قَالَتْ: اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَفُضَّ الخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَقُمْتُ وَتَرَكْتُهَا**»

«**اتَّقِ اللَّهَ**»

وقاهُ اللهُ وَقْيًا وَوِقايةً وواقِيةً: صانَه، ووَقَيْتُ الشَّيْءَ أَقِيه إِذَا صُنْتَه وسَتَرْتَه عَنِ الأَذى.(٣)

وَأَصْلُ التَّقْوَى: أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقاية تقيه منه فتقوى العبد لربه أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه من غضبه وسُخْطِهِ وعقابه وقاية تقيه من ذلك وهو فعل طاعته واجتناب معاصيه.

فإذا أضيفت التقوى إليه سبحانه وتعالى ـ كما هنا ـ فالمعنى: اتقوا سُخْطَهُ وغَضَبَهُ، وهو أعظم ما

(١) – ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي، تحقيق: د/ فخر الدين قباوة –الأستاذ محمد نديم فاضل، صـ٥٩٤، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.

(٢) – ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام، تحقيق: د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله، نشر: دار الفكر – دمشق، الطبعة: السادسة، ١٩٨٥م.

(٣) – لسان العرب مادة: (و ـ ق ـ ى)، جـ١٥صـ٤٠١.

يُتَّقَى، وعن ذلك ينشأ عقابه الدُّنْيَوي والأُخْرَوِي[١]

والتعبير باسم الجلالة دون غيره لتربية المهابة والخشية، والتذكير بالقدرة المطلقة لله بذكر الله ـ تعالى ـ بالاسم الذي لا يشترك معه أحد فيه.

وفي رواية للبخاري[٢] ومسلم[٣] نادته قائلة: (يَا عَبْدَ اللهِ اتَّقِ اللهَ) للاستعطاف وطلب الرفق، والرحمة، ويدل على ذلك أمور منها: نداؤها للرجل بأداة النداء (يا) التي للبعيد مع أنه كان قريبًا منها، وذلك لما كان يجده من تلهف، وحرص شديد على طلبها؛ فهي كالمستغيثة تمد صوتها في النداء للتعبير بِنَفَسٍ طويل عما يجدها من هم وغم في نفسها، طلبًا في استعطاف الرجل ورفقه بها، ورجاءً لتركها وشأنها، وكذلك عدولها في المناداة عن اسم المخاطب الحقيقي إلى ما فيه تذكير له بربه، وهو قولها له (عبد الله) فكأنها إنما أرادت تخويفه من عقاب الله، وتذكيره بعبوديته لله – سبحانه وتعالى – طالبة بذلك النجاة مما يريده منها الرجل، وليس بعيدًا أن أقول إن تذكيرها الرجل بهذا الأسلوب جعله يتراجع عن فعلته التي كان يريدها، كما صرح الرجل بذلك بنفسه في الحديث.

كما أفاد النداء أهمية الأمر المنادى له، وهو تقوى الله وعدم الوقوع في الرذيلة.

وعطفت جملة «**وَلاَ تَفُضَّ الخَاتَمَ**» على سابقتها للتوسط بين الكمالين، والمناسبة واضحة بين الآمر والناهي فهي المرأة العفيفة.

والمناسبة واضحة بين المأمور والمنهي، وهو ابن عمها.

---

(١) – جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، تحقيق: شعيب الأرناؤوط – إبراهيم باجس، جـ١ صـ٣٩٨، نشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: السابعة ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.

(٢) – صحيح البخاري، بَابُ: إِذَا زَرَعَ بِمَالِ قَوْمٍ بِغَيْرِ إِذْنِهِمْ، وَكَانَ فِي ذَلِكَ صَلاَحٌ لَهُمْ، حديث رقم: (٢٣٣٣)، جـ٣صـ١٠٥، وبَابُ: إِجَابَةِ دُعَاءِ مَنْ بَرَّ وَالِدَيْهِ، حديث رقم: (٥٩٧٤)، جـ٨صـ٣.

(٣) – صحيح مسلم، بَابُ قِصَّةِ أَصْحَابِ الْغَارِ الثَّلَاثَةِ وَالتَّوَسُّلِ بِصَالِحِ الْأَعْمَالِ، حديث رقم: (٢٧٤٣)، جـ٤ صـ ٢٠٩٩.

والمناسبة بين التقوى وفض الخاتم هي التضاد أو شبهه.

والنهي عن فض الخاتم إلا بحقه داخل في الأمر بالتقوى، وقد عطف عليه من قبيل عطف الخاص على العام؛ لأن الأمر بالتقوى متناول للنهي عن فض الخاتم، وهذا العطف يفيد الاهتمام بالنهي عن فض الخاتم ويؤكده؛ وكأنها قد نهت عن فض الخاتم مرتين، مرة عن طريق العموم، ومرة عن طريق التفصيل؛ وذلك لخطورة القدوم على هذا الفعل، والاقتراب منه.

هذا والنهي ـــ هنا ـــ للالتماس قصدًا للتلطف والاستعطاف، أي " استعطاف المخاطب في تجنب المنهي عنه، والتلطف معه في الخطاب حتى يدفعه للامتثال، ولاسيما إذا كان النهي محفوفًا بمغريات يندفع المخاطب للسرعة في ذلكم الامتثال"[١]

الفض الكسر مع التفريق، يقال: فَضَضْتُ الشيءَ أَفُضُّه فَضّـًا، فَهُوَ مَفْضُوضٌ وفَضِيضٌ: كسرتُه وفَرَّقْتُه، وفُضاضُه وفِضاضُه وفُضاضَتُه: مَا تكسَّر مِنْهُ.

وفَضَّ الخاتَمَ والخَتْمَ إِذا كَسره وفَتَحه.[٢]؛ فهي بمنزلة الشيء المختوم الذي عليه ختم زوجها فلا يكسره غيره، كنت بذلك عن الجماع.

وهي كناية في غاية الحسن؛ لأن غاية الأدب الترفع عن التعبير الصريح في مثل هذه المواضع.

فهي ـ كما يقول العلوي ـ "كناية وقعت موقعها في اللطافة والرقة"[٣]

ومزية الكناية هنا أنها أخذت بالمخاطب إلى أقرب مشاهد الصورة لذلك الرجل وحالته مع تلك المرأة، في أسمى عبارة، وألطف أسلوب، فالرجل يذكر أنه (قعد) و (وقع)، وهي ألفاظ توحي بشدة القرب للوقوع والقدرة عليه، إلا أن تخويف هذه الفتاة له وقع موقعه البليغ المؤثر، فما كان منه إلا أن ارتدع خوفًا من الله، وخشية من عقابه.

---

(١) – الأساليب الإنشائية في كتاب الآداب صـ١٢٠.

(٢) – لسان العرب مادة: (ف ـ ض ـ ض)، جـ٧صـ٢٠٦.

(٣) – ـ الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز للعلويّ، جـ١ صـ٢٠٦، نشر: المكتبة العنصرية – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٢٣هـ.

ولا شك أن للكناية (قدرة على إبراز المعاني وأدائها خير أداء؛ إذ كل كناية تتضمن الحكم مصحوبًا بدليله، وذلك أبلغ في تأدية المعنى وتثبيته في النفس.)[١]

فبلاغة الكناية تكمن في أنها تعطينا الحقيقة مصحوبة بدليلها، وتذكر القضية وفي طياتها برهانها الشاهد عليها، فهي تمتاز بالإقناع والإمتاع، ومتى ما جاء المعنى مصحوبًا بدليله وبرهانه، كان أوقع في النفس وأعلق بالفؤاد، من أن تتركه من غير برهان.[٢]

وإيثار الكناية على التصريح للمبالغة في المعنى المراد، وهو النهي عن الجماع؛ لأن الكناية بمثابة دعوى الشيء ببينة.

وقيل كناية عن فض البكارة، والأول هو الصحيح؛ لما ثبت في بعض روايات الإمام أحمد[٣] والطبراني[٤] بأنها كانت متزوجة ولها عيال، ولفظه: (فَأَبَتْ عَلَيَّ، وَذَهَبَتْ، فَذَكَرَتْ لِزَوْجِهَا، فَقَالَ لَهَا: أَعْطِيهِ نَفْسَكِ، وَأَغْنِي عِيَالَكِ، فَرَجَعَتْ إِلَيَّ.)

و"كونها متزوجة يفسّر ـ أيضًا ـ لماذا لجأ هذا الرجل إلى المراودة بدلًا من زواجها"[٥]

وعليه فيمكن تفسير قولها بأن عليها خاتم زوجها ولا يحل لأحد غيره أن يفضها، وليس ذلك كناية عن العذرة بل عن انتهاك حرمة الزوج[٦] ووطئها.

---

(١) – أسلوب الدعوة القرآنية د/ عبد الغني بركة صـ٢٩٦، نشر مكتبة وهبة، الطبعة الأولى ١٩٨٣م.

(٢) – ينظر: الكناية والتعريض لأبي منصور للثعالبي، دراسة وشرح وتحقيق دعائشة حسين فريد صـ ٤٤، نشر دار قباء، ١٩٩٨م.

(٣) – ينظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل، حَدِيثُ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث رقم: (١٨٤١٧)، جـ٣٠صـ٣٦٦.

(٤) – ينظر: الدعاء، بَابُ تَقَرُّبُ الْعَبْدِ إِلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَ الدُّعَاءِ بِصَالِحِ عَمَلِهِ، حديث رقم: (١٩٠)، صـ٧٦، والمعجم الأوسط، باب: من اسمه إبراهيم، حديث رقم: (٢٣٠٧)، جـ٢صـ٨.

(٥) – شرح حديث أصحاب الغار والصخرة للدكتور/ محمد الدبيسي، صـ٣٢، الطبعة الثانية: ٢٠١٣م.

(٦) – الكوكب الوهَّاج والرَّوض البَهَّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، جـ٢٥صـ١٧٦.

فهذا الحديث يحتاج "إلى تخيل واسع نربط من خلاله بين الخاتم من جهة وافتضاضه من أخرى؛ إذ الخاتم لا شيء إلا إذا ارتبط بالجماع والعشرة. فكان افتضاض الخاتم في سياق موقف بين رجل وامرأة يؤدي دلالة جليلة، ومعنى كنائيًا مهذبًا ألا وهو الجماع.

إن هذا الأداء التصوري يحمل في طياته كثيرًا من التشويق؛ إذ يشير إلى المعنى المقصود إشارة من بعد، ويلوح إليها تلويحًا، وهي بدورها تستدعي الفكر وتشد العقل."[١]

وقد أغنى التلميح عن التصريح وفاقه تأثيرًا وتثبتًا للمعنى.

فـ"الكناية أبلغ من الإفصاح؛ إذ تزيد المعنى إثباتًا، فتجعله أبلغ وآكد وأشد؛ ذلك لأن إثبات الصفة بإثبات دليلها، وإيجابها بما هو شاهد في وجودها آكد وأبلغ في الدعوى"[٢]

وهذا التلميح الذي أغنى عن التصريح هو ما يسمى في الأدب بالالتزام: في الأدب، وهو أن ينحو الأديب بفنه إلى تحقيق المثل العليا في التمتعات الإنسانية، من خلال الدعوة إلى تثبيت الدعائم الخلقية، ولقد تجلى هذا المعنى بوضوح في القصة النبوية في مضمونها وفي طريقة آدائها، أما المضمون فإنه مستمد من عقائد الإسلام وأخلاقه، وأما طريقة الأداء فإن أبرز مظاهر الالتزام فيها استخدام الوسيلة النظيفة في التعبير والتصوير للشخصيات والمواقف، فليس فيها ما يثير الغرائز أو يدغدغ المشاعر، مع ما يرد فيها أحيانًا من تصوير للغرائز والشهوات، إلا أنها تقدمه بأسلوب رفيع المستوى تتشح عباراته بالعفة، وترتدي أثواب النزاهة، ومعنى هذا أنه لا وجود "لما يثير الغريزة أو يدغدغ الشهوة، أو فيها ما يلهي السامع عن الغرض الديني الذي سيقت القصة لأجله.[٣]

ما يعني أن القصة النبوية مسخرة للغرض الديني من أجل خدمته وتوضيح قيمه، ومبادئه السامية، كما

---

(١) – ـــ وظائف الكناية والتعريض في الحديث النبوي الشريف، لأحمد بدري منصور البشابشة، صـــ٥٦، ٥٧، نشر: جامعة آل البيت ٢٠١٠م.

(٢) – التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر، للدكتور/ عبد الفتاح لاشين، صـ١٩٥، نشر: دار المريخ ـ الرياض ـ بدون تأريخ.

(٣) – خصائص القصة الإسلامية لمأمون فريز جرار صـ٢٢٩، نشر: دار المنارة ١٩٨٨م.

أن هناك صورة أخرى للالتزام في الطريقة الفنية أو الطريقة المعالجة للقيم الإسلامية، وللحياة الإنسانية، فمع وفائها للغرض الديني جاءت وفية للتصوير الفني" والشيء الملاحظ من خلال النظر في نصوص القصص النبوي، أن ذلك الخضوع للغرض الديني، لم يكن حائلًا بين القصة وأن تخرج إلى الوجود وفق الطريقة الفنية، ووفق النسق الفني القصصي في العرض والبناء، وهو ما يتطلبه الفن، وما يستسيغه عشاق القصة من الإثارة والتشويق للفن ذاته وللقصة ذاتها"[١]

والألف واللام في «**الخَاتَمَ**» بدل من الضمير، أي خَاتَمِي.[٢]، كما في قوله تعالى: {جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ} (ص: ٥٠)أي أبوابها.[٣]

وورد كذلك (لَا يَحِلُّ لَكَ أَنْ تَفُضَّ خَاتَمِي إِلَّا بِحَقِّهِ) في بعض روايات الطبراني[٤]

وقولها «**إِلَّا بِحَقِّهِ**» أرادت به الحلال أي لا أحل لك أن تقربني إلا بتزويج صحيح.

وهو كناية عن الزواج الشرعي، وقد جاءت هنا أجمل تعبيرًا، وأكثر تهذيبًا من التصريح بالمكنى عنه.

وهو استعارة مكنية مبنية على تشبيه الخاتم بإنسان له حقوق، وحذف المشبه به، وإثبات لازم من لوازمه للمشبه.

وفي استعمال طريق القصر (النفي والاستثناء) إشعار بأن فض الخاتم بغير حقه من الأمور المنكرة التي تجهل ويشك فيها؛ فموضوع (النفي والاستثناء) على أن يجيء لخبر يجهله المخاطب وينكره،

(١) – القصص في الحديث النبوي، دراسة فنية وموضوعية، للدكتور/ محمد بن حسن الزير، صـ ٤٢٧، الطبعة الثالثة: ١٩٨٥م.

(٢) – فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر، جـ٦ صـ٥٠٩.

(٣) – ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني صـ١٩٩.

(٤) – ينظر: الدعاء، بَابُ: تَقَرُّبُ الْعَبْدِ إِلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَ الدُّعَاءِ بِصَالِحِ عَمَلِهِ، حديث رقم: (١٩٤)، صـ٧٩. والمعجم الأوسط، باب: مَنِ اسْمُهُ: عَبْدَانُ، حديث رقم: (٤٥٩٧)، جـ٥ صـ٣٣.

ويدفع صحته، أو لما ينزل هذه المنزلة.[١]

فهو "لا يأتي إلا في المعنى الذي يحتاج إلى فضل تقرير وتوكيد"[٢] و"لا تلقاك هذه الأداة إلا حيث تلقاك النبرة العالية، والنغمة الحاسمة "[٣]

فاختارت المرأة من طرق القصر طريق النفي والاستثناء هنا؛ لأن المعنى الذي تريد إثباته يحتاج إلى التأكيد والتقرير والتثبيت في نفس المتلقي؛ لكونه من الأمور الغريبة والعجيبة والعظيمة، والرجل لا ينكر أن فض الخاتم لا بد أن يكون بحقه، وإنما لما أصر على طلبه نزلته منزلة المنكر؛ فاستعملت له النفي والاستثناء؛ حتى يرتدع هذا الرجل وينزجر، وكذلك كل من يدفع هذه الحقيقة وينكرها.

يقول الإمام عبد القاهر: " وأما الخبر بالنفي والإثبات نحو: "ما هذا إلا كذا"، و "إن هو إلا كذا "؛ فيكون للأمر ينكره المخاطب، ويشك فيه. فإذا قلت: ما هو إلا مصيب "، أو "ما هو إلا مخطئ" قلته لمن يدفع أن يكون الأمر على ما قلت، وإذا رأيت شخصًا من بعيد فقلت: "ما هو إلا زيد" لم تقله إلا وصاحبك يتوهم أنه ليس بزيد، وأنه إنسان آخر، ويجد في الإنكار أن يكون زيدًا "[٤]

وجاء جواب الأمر «**فَقُمْتُ وَتَرَكْتُهَا**» جملة ذات دلالات دقيقة؛ فقد أبانت عن حيثية الأمر في **{اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَفُضَّ الخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ}**

وجملة الأمر هذه وجوابها يفوح منها معنى السلامة وعدم التعرض لها بأي أذى.

والفاء في «**فَقُمْتُ وَتَرَكْتُهَا**» لإفادة التعقيب بلا مهلة، فبمجرد تذكيرها إياه بالله وتقواه قام معرضًا عن التعرض لها، وتركها على ما كانت عليه.

وهذا مؤذن بسرعة استجابة الرجل لاستغاثة المرأة والقيام عنها، وتركها وشأنها.

---

(١) – ينظر: دلائل الإعجاز صـ٣٣٢.

(٢) – دلالات التراكيب للدكتور/ محمد أبو موسى، صـ ١٠٤.

(٣) – المرجع السابق الصفحة نفسها.

(٤) – دلائل الإعجاز صـ٣٣٢.

والتَّرْكُ: وَدْعُك الشَّيْءَ، تَركه يَتْرُكه تَرْكًا واتَّرَكه. وتَرَكْتُ الشيءَ تَرْكًا: خَلَّيْتُهُ.(١)

فترك هنا بمعنى طرحها وخلاها؛ لأن (ترك) إذا تعدت لمفعول واحد كانت بمعنى طرحه وخلاه، وإذا تعدت لمفعولين كانت متضمنة لمعنى التصيير والجعل(٢)، كما في قوله تعالى: {وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ} (البقرة:١٧) وقول عنترة:

فَتَرَكْتُهُ جَزَرَ السِّباعِ يَنُشَنهُ ... ما بَيْنَ قُلّةِ رَأْسِهِ والمِعْصَمِ(٣)

والترك عند المتكلمين فعل أحد الضدين اللذين يقدر عليهما المباشر.

وقال بعضهم كل شيئين تضادا، وقدر عليهما بقدرة واحدة مع كون وقت وجودهما وقتًا واحدًا وكانا يحلان محل القدرة وانصرف القادر بفعل أحدهما عن الآخر، سمى الموجود منهما تركا وما لم يوجد متروكا، والترك عند العرب تخليف الشيء في المكان الذي هو فيه، والانصراف عنه، ولهذا يسمون بيضة النعامة إذا خرج فرخها تريكة؛ لأن النعامة تنصرف عنها.(٤) فهو قد تركها على ما كانت عليه.

وترك المعصية لله ــ تعالى ــ بعد العزم عليها طاعة وتوبة حقيقية، كما قال في الحديث الآخر: " وَإِنْ تَرَكَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، إِنَّمَا تَرَكَهَا مِنْ جَرَّايَ"(٥) أي من أجلي"(٦)

---

(١) – لسان العرب مادة: (ت ـ ر ـ ك)، جـ١٠ صـ٤٠٥.

(٢) – ينظر: بلاغة تطبيقية دراسة لمسائل البلاغة من خلال النصوص للدكتور/ بسيوني عبد الفتاح فيود، صـ٥٢، نشر: مطبعة الحسين الإسلامية، الطبعة الأولى ١٩٩١م.

(٣) – جزر السباع: اللحم الذي تأكله؛ لأنها تجزره بأنيابها. النوش: التناول السهل. المعصم: موضع السوار من الساعد. يقول: فصيرته طعمة للسباع كما يكون الجزر طعمة للناس، ثم قال: تتناوله السباع وتأكل بمقدم أسنانها بنانه الحسن ومعصمه الحسن، ويريد أنه قتله فجعله عرضة للسباع حتى تناولته وأكلته.

(٤) – معجم الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، صـ١٢٣، نشر: مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة: الأولى ١٤١٢هـ.

(٥) – صحيح مسلم، بَابُ: إِذَا هَمَّ الْعَبْدُ بِحَسَنَةٍ كُتِبَتْ، وَإِذَا هَمَّ بِسَيِّئَةٍ لَمْ تُكْتَبْ، حديث رقم: (١٢٩)، جـ١ صـ١١٧.

(٦) – الكوكب الوهَّاج والرَّوض البَهَّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، جـ٢٥ صـ١٧٦.

وفي رواية للبخاري (فَانْصَـرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ)[١] وقوله (وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ) تتميم أفاد بيان حاله منها عند انصرافه، ومدى تفوقه على غريزته.

ثم توسـل هذا السـائل "إلى ربه بمخافته منه تلك المخافة التي دفعته إلى ترك الفاحشـة وكبت قوة الشـهوة على الرغم من محبته الشـديدة لهذه المرأة وقدرته على إتيانها، فنحن أمام صـورة لموقف عصـيب ولحظة يندر معها الخلاص من كيد الشـيطان وطغيان الشـهوة العمياء ألا وهي لحظة الخلوة بالمحبوبة، وفي النفس هيام وشـغف بها، وهنا يبرز دور التوكيد في دفع تردد السـامع بين ماهية هذا الترك، أكان لرغبة عنها أم لمخافة الله مع وجود دافع الحب الشديد لها."[٢] فقال:

«**فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً، قَالَ: فَفَرَجَ عَنْهُمُ الثُّلُثَيْنِ**»

«**فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ**»

وورد في رواية للبخاري زيادة: (اللهم)، ولفظه: (اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ)[٣]، وفيه زيادة التضرع.

وكرر (اللهم) هنا؛ لأن هذا المقام أصعب المقامات، وأشقها. فـ "شهوة الفرج أغلب الشهوات على الإنسان، وأصعبها عند الهيجان على العقل، فمن ترك الزنا خوفًا من الله ـ تعالى ـ مع القدرة، وارتفاع الموانع، وتيسر الأسباب، لا سيما عند صدق الشهوة، نال درجة الصديقين"[٤]

يقول الطيبي – رحمه الله –: الفاء في «**فَإِنْ كُنْتَ**» عاطفة على مقدر؛ أي: اللهم فعلت ذلك، فإن كنت تعلم أني فعلت، ويجوز أن يكون "اللهم" مقحمة بين المعطوف والمعطوف عليه؛ لتأكيد الابتهال والتضرع إلى الله تعالي، فلا يقدر معطوف عليه، وهو الوجه، يدل عليه القرينة السابقة واللاحقة، وإنما

(١) – صحيح البخاري، بَابُ: مَنِ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَتَرَكَ الأَجِيرُ أَجْرَهُ، فَعَمِلَ فِيهِ المُسْتَأْجِرُ فَزَادَ، أَوْ مَنْ عَمِلَ فِي مَالِ غَيْرِهِ، فَاسْتَفْضَلَ، حديث رقم: (٢٢٧٢)، جـ٣صـ٩١.

(٢) – جماليات صحيح القصص النبوي صـ٨.

(٣) – صحيح البخاري، بَابُ: إِجَابَةِ دُعَاءِ مَنْ بَرَّ وَالِدَيْهِ، حديث رقم: (٥٩٧٤)، جـ٨صـ٣.

(٤) – مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لملا الهروي، جـ٧صـ ٣٠٩٥، نشر: دار الفكر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ٢٠٠٢م.

كرر "اللهم" في هذه القرينة دون أختيها؛ لأن هذا المقام أصعب المقامات، وأشقها، فإنه ردع لهوى النفس خوفًا من الله تعالي، ومقامه، قال الله تعالى: {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى . فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى}(النازعات: ٤٠، ٤١)[١]

«فَافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً، قَالَ: فَفَرَجَ عَنْهُمُ الثُّلُثَيْنِ»

جملة جواب الشرط، وصدرت بالفاء لربط الجواب بالشرط، فهي تشد جملة الجواب، وتربطها بجملة الشرط؛ حتى يصبحا كالجملة الواحدة؛ وفي هذا تماسك للأسلوب، وتلاحم لأجزائه، وتشابك لأطرافه.

وجاء جواب الشرط جملة فعلية فعلها فعل الأمر للتضرع إلى الله -سبحانه وتعالى- والإلحاح في الطلب، وإبراز مدى رجاء الداعي تحقق مضمون الجواب، وهو تفريج كربه بإزاحة الصخرة.

ومن محاسن بناء الجواب ـ هنا ـ الإيجاز، وهو يتناسب مع جو الداعي المضطر؛ حيث تضيق نفسه ذرعًا من شدة ما هو فيه.

وحذف فاعل «فَفَرَجَ» للعلم به أي ففرج الله.

وهذه "مناجاة ثانية تصور الأحداث بجوامع الكلم، وتوجز لتترك إطنابًا نفسيًا يفيض ويمتد، أرأيت إلى الاقتصاد على قوله: (فطلبت منها) دون أن يبين المطلوب، وعلى قوله: (فقمت) متحرجًا أن يقول مستحيًا من نفسي مستجيبًا إلى هاتف الضمير، ثم أرأيت إلى هذه الكناية البديعة (اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه) كل ذلك دعوة خالصة مقنعة إلى العفة وصيانة المحارم تجذب بتأثيرها الرائع نفس المتلقي؛ فتقوم مقام عشرات من الخطب المنبرية في التصون والعفاف، ثم تنفرج الغمة إلى حد يبشر بالفرج، فيشير الحديث إلى ذلك بقوله عقب المناجاة الحارة الصادقة: ففرج"[٢]

(١) - الكاشف عن حقائق السنن جـ١٠صـ ٣١٧٠.

(٢) - البيان النبوي صـ١٣١.

الخصائص البلاغية:

بمراجعة التحليل البلاغي لجمل قصة الرجل العاف عن الحرام مع القدرة عليه يتبين لنا أنها تتميز بمجموعة خصائص بلاغية من أهمها ما يلي:

١- شيوع حروف الذلاقة " الراء، والباء، والميم، والنون، واللام، والفاء" التي توحي بالأجواء النفسية للأصحاب الثلاثة، وتدل على مدى مجاهدتهم وإيبائهم.

ولما تمتاز به هذه الأصوات من وضوح سمعي، إذ إن الأصحاب الثلاثة يريدون أن يحدثوا تأثيرًا ما لدى المتلقي بالتركيز على هذه الأصوات. فالتكرار وسيلة لإثراء الموقف النفسي، وحشد المواقف والإحساسات.

كما يؤدي (تكرار الحروف دورًا عظيمًا في الموسيقا اللفظية؛ إذ قد تشترك الكلمات في حرف واحد أو أكثر، ويكون لهذا الاشتراك فائدة موسيقية عظيمة، وقيمة نغمية جليلة تؤدي إلى زيادة الأداء بالمضمون الشعري)[١].

٢- شيوع التضعيف فقد ورد في تسع عشرة كلمة مضعفة.

وقد أسهم شيوع التضعيف في تمثيل معاني الألم والرفض، والشعور بالضيق، وأكد المعنى؛ فأدى وظيفة انفعالية ومعنوية. فهو أشبه بسياق المعنى.

كما أن في التضعيف تخفيفًا من حدَّة الانفعال، وذلك بتكرار الضغط على الحرف المشدد[٢] وإشعارًا بقيمة الحدث وشدة وقعه وأثره في نفس الأصحاب الثلاثة.

٣- اتسمت القصة بالدقة في اختيار الألفاظ؛ واختيار الكلمات ذات المقاطع الطويلة تصويرًا لآهات الأصحاب الثلاثة؛ فهي تعكس امتداد الصوت والنفس، واستطالة الآهات.

فألفاظ القصة تميزت بالدقة في الاختيار وبسعة الدلالات وتنوعها وبإثارة الخيال وبقوة التأثير في

(١) أبوفراس الحمداني الموقف والتشكيل الجمالي، د/ النعمان القاضي، صـ٥٠١، نشر دار الثقافة ودار التوفيق، الأزهر، ١٩٨١م.

(٢) الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه، جـ١ صـ٦٥.

المتلقين.

٤- غلبة التعريف حيث ورد في ثلاثة وعشرين موضعًا، كان النصيب الأكبر منها لتعريف المسند إليه حيث ورد معرفة في أربعة عشر موضعًا؛ فعرف بـ"الضمير" في أحد عشر موضعًا، يليه التعريف بـ"ال" حيث عرف بها في ثلاثة مواضع، وعرف المسند في تسعة مواضع؛ فعرف بـــ(ال) في ثلاثة مواضع، وعرف بـ "الضمير" في ثلاثة مواضع، وعرف بالإشارة في موضعين، وعرف بالعلمية في موضع واحد.

في حين ورد التنكير في ثلاثة مواضع، كلها من نصيب المسند.

٥- شيوع الأسلوب الخبري حيث ورد خمسة عشر مرة؛ كان النصيب الأكبر منها للخبر الابتدائي؛ فقد ورد ثلاث عشرة مرة، وورد الخبر الطلبي مرتين.

في حين ورد الأسلوب الإنشائي سبع مرات؛ كان النصيب الأكبر منها للإنشاء غير الطلبي؛ فقد ورد بأسلوب الشرط ثلاث مرات، أما الإنشاء الطلبي فقد جاء بصيغة الأمر مرتين، وبصيغة النداء مرة، وبصيغة النهي مرة.

وذلك لاعتماده الحديث على الأسلوب التقريري القصصي.

٦- شيوع التعبير بالجملة الفعلية؛ حيث وردت ثماني عشرة مرة. كان النصيب الأكبر منها للفعل الماضي فقد جاء في أحد عشر موضعًا؛ ليدل على ثبات معاناة هذا الرجل وتلك المرأة وتحققها، وهي ليست ثابتة فقط، وإنما هي متجددة الحدوث ومستمرة؛ ولذلك أتى بالفعل المضارع في سبعة مواضع؛ ليدل على تجدد الحدوث واستمرار هذه المعاناة.

أما الجملة الاسمية فقد وردت خمس مرات فقط؛ وفي هذا دلالة على اعتماد القصة على الحركة واهتمامها بعنصر الزمن.

٧- شيوع العطف بـ(الفاء) الدالة على الترتيب والتعقيب؛ حيث ورد في سبعة مواضع.

وجاء العطف بالواو في موضعين اثنين. وقال الآخر، عطف القصة، ولا تفض الخاتم الاتفاق في الإنشائية

أما الفصل فورد في ثلاثة مواضع.

٨- شيوع الضمائر التي تحيل إلى مرجع واحد في القصة؛ فهناك ضمير الغائب في (مِنْهَا، تُعْطِيَهَا، رِجْلَيْهَا، تَرَكْتُهَا) اتحدت هذه الضمائر في مرجعيتها إلى المذكور الأول(امْرَأَةً) وضمير الغائب في (فِيهَا، جَمَعْتُهَا) فهذان الضميران اتحدا في مرجعيتهما إلى المذكور الأول(مِائَةَ دِينَارٍ) وضمير المتكلم في (أَنِّي، عَمِّي، أَنِّي) اتحدت هذه الضمائر في مرجعيتها إلى المذكور الأول (وَقَالَ الآخَرُ)

وهذه الإحالة حققت التماسك النصي للقصة، وهي ـــ أعني الإحالة ـــ تعد من أهم الروابط بين مكونات الخطاب؛ حيث تقدمه في صورة جمل متسلسلة، سهلة الاستيعاب والتذكر، وهو ما يسهل التعايش مع الخطاب، ومن ثم الاقتناع به، والإذعان لما جاء فيه.

شيوع الضمائر التي تحيل إلى مرجع واحد في القصة؛ فهناك ضمير الغائب في (فَأَعْطَيْتُهُ، الفَرَقِ فَزَرَعْتُهُ، اشْتَرَيْتُ مِنْهُ) اتحدت هذه الضمائر في مرجعيتها إلى المذكور الأول (أَجِيرًا)، وضمير الغائب في (وَرَاعِيهَا، فَإِنَّهَا لَكَ، وَلَكِنَّهَا لَكَ) اتحدت هذه الضمائر في مرجعيتها إلى المذكور الأول (البَقَرِ).

وهذه الإحالة حققت التماسك النصي للقصة، وهي ـــ أعني الإحالة ـــ تعد من أهم الروابط بين مكونات الخطاب؛ حيث تقدمه في صورة جمل متسلسلة، سهلة الاستيعاب والتذكر، وهو ما يسهل التعايش مع الخطاب، ومن ثم الاقتناع به، والإذعان لما جاء فيه.

٩- ندرة الصورة البيانية فلم ترد إلا في ثلاثة مواضع أحدها للتشبيه والثاني للكناية، والثالث للاستعارة.

المبحث الرابع

خصائص النظم النبوي في قصة الرجل الأمين

وختمت قصة أصحاب الغار الثلاثة بقصة هذا الرجل لتكتمل الحلقة بالأمانة وحفظ الحقوق.

«وَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا بِفَرَقٍ مِنْ ذُرَةٍ فَأَعْطَيْتُهُ، وَأَبَى ذَاكَ أَنْ يَأْخُذَ، فَعَمَدْتُ إِلَى ذَلِكَ الفَرَقِ فَزَرَعْتُهُ، حَتَّى اشْتَرَيْتُ مِنْهُ بَقَرًا وَرَاعِيهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ أَعْطِنِي حَقِّي، فَقُلْتُ: انْطَلِقْ إِلَى تِلْكَ البَقَرِ وَرَاعِيهَا فَإِنَّهَا لَكَ، فَقَالَ: أَتَسْتَهْزِئُ بِي؟ قَالَ: فَقُلْتُ: مَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ وَلَكِنَّهَا لَكَ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا فَكُشِفَ عَنْهُمْ»

المبحث الرابع: خصائص النظم النبوي في قصة الرجل الأمين

«وَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا بِفَرَقٍ مِنْ ذُرَةٍ»

«وَقَالَ الآخَرُ»

الواو لعطف قصة على قصة و «الآخَرُ» بفتح الخاء، وفي نسخة بكسرها، ومآلهما واحد، والأخير أدل على المقصود؛ أي: قال الرجل الثالث:(١)

والفعل «**اسْتَأْجَرْتُ**» مزيد على وزن استفعل، وأفادت هذه الزيادة الدلالة على شدة حاجته إلى الأجير، وأنه بذل أقصى جهده للحصول عليه، وتوخي الإخلاص والصدق فيه.

«**بِفَرَقٍ مِنْ ذُرَةٍ**» الذرة بتخفيف الراء حب معروف، والفَرَقُ: مِكْيَالٌ مَعْرُوفٌ بِالْمَدِينَةِ وَهُوَ سِتَّةُ عَشَرَ رَطْلًا، وهي اثنا عشر مدًا، وثلاثة آصع عند أهل الحجاز.

يقول خِدَاشِ بْنِ زُهَيْرٍ

يَأْخُذُونَ الْأَرْشَ فِي إِخْوَتِهِمْ ... فَرَقَ السَّمْنِ وَشَاةً فِي الْغَنَمْ

(١) - البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج لمحمد بن علي، جـ٤٢ صـ٥١٠، نشر: دار ابن الجوزي، الطبعة: الأولى ١٤٢٦هـ ١٤٣٦هـ.

والجمع: فُرْقَان كَبَطْنٍ وَبُطْنَانٍ وَحَمْلٍ وَحُمْلَانٍ.(١)

«فَأَعْطَيْتُهُ وَأَبَى ذَاكَ أَنْ يَأْخُذَ، فَعَمَدْتُ إِلَى ذَلِكَ الفَرَقِ فَزَرَعْتُهُ، حَتَّى اشْتَرَيْتُ مِنْهُ بَقَرًا وَرَاعِيهَا»

«فَأَعْطَيْتُهُ وَأَبَى ذَاكَ أَنْ يَأْخُذَ»

جملة جواب الشرط، وصدرت بالفاء لربط الجواب بالشرط، فهي تشد جملة الجواب، وتربطها بجملة الشرط؛ حتى يصبحا كالجملة الواحدة؛ وفي هذا تماسك للأسلوب، وتلاحم لأجزائه، وتشابك لأطرافه.

وجاء جواب الشرط جملة فعلية فعلها ماض للتضرع إلى الله -سبحانه وتعالى- والإلحاح في الطلب، وإبراز مدى رجاء الداعي تحقق مضمون الجواب، وهو تفريج كربه بإزاحة الصخرة.

ومن محاسن بناء الجواب ـ هنا ـ الإيجاز، وهو يتناسب مع جو الداعي المضطر؛ حيث تضيق نفسه ذرعًا من شدة ما هو فيه.

الإباء: هو الامتناع عن فعل المطلوب، وجاء التعبير بـ «أَبَى» دون امتنع؛ لأن الإباء أدل على شدة الامتناع، قال الراغب "الإباء: شدة الامتناع، فكل إباء امتناع، وليس كل امتناع إباء، ومنه رجل أَبِيّ ممتنع من تحمل الضيم"(٢)

وعرف المسند إليه «ذَاكَ» باسم الإشارة لكمال تمييز هذا الرجل أكمل تمييز، كأنه حاضر في ذهن المتلقي محس مشاهد.

---

(١) - ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، مادة: (ف ـ ر ـ ق) جـ٤ صـ ١٥٤٠، نشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م. ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس، تحقق: عبد السلام محمد هارون، جـ٤ صـ ٤٩٥، نشر: دار الفكر: ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م. ولسان العرب لابن منظور، جـ١٠ صـ ٣٠٥، نشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة ١٤١٤هـ.

(٢) - المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، صـ٥٨، نشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٢هـ.

وورد في بعض روايات الإمام أحمد[١] والطبراني[٢] بيان السبب في ترك الرجل أجرته ولفظه (كَانَ لِي أُجَرَاءُ يَعْمَلُونَ لِي عَمَلًا، فَاسْتَأْجَرْتُ كُلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ بِأَجْرٍ مَعْلُومٍ فَجَاءَنِي رَجُلٌ ذَاتَ يَوْمٍ وَسَطَ النَّهَارِ فَاسْتَأْجَرْتُهُ بِشَرْطِ أَصْحَابِهِ فَعَمِلَ فِي بَقِيَّةِ نَهَارِهِ كَمَا عَمِلَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فِي نَهَارِهِ كُلِّهِ فَرَأَيْتُ فِيَ الذِّمَامِ أَنْ لا أُنْقِصَهُ مِمَّا اسْتَأْجَرْتُ بِهِ أَصْحَابَهُ لِمَا جَهِدَ فِي عَمَلِهِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ أَعْطَيْتَ هَذَا مَا أَعْطَيْتَنِي وَلَمْ يَعْمَلْ إِلَّا نِصْفَ النَّهَارِ، قُلْتُ: يَا عَبْدَ اللهِ لَمْ أَبْخَسْكَ شَيْئًا مِنْ شَرْطِكَ وَإِنَّمَا هُوَ مَالِي أَحْكُمُ فِيهِ مَا شِئْتُ، فَغَضِبَ وَذَهَبَ وَتَرَكَ أَجْرَهُ.)[٣]

وعبر بالمصدر المؤول «**أَنْ يَأْخُذَ**» دون المصدر الصريح أخذ؛ ليتأتى التعبير بالمضارع الذي يفيد استحضار الصورة والحدوث والتجدد والاستمرار؛ فهو لم يأب الأخذ فحسب، بل تفنن في الإباء، وكيف يكون هذا الإباء متجددًا ومستمرًا، وبدون المضارع لن يكون هذا المعنى، فالمصدر الصريح لا يؤديه، ولذا عدل عنه إلى المصدر المؤول.

«فَعَمَدْتُ إِلَى ذَلِكَ الفَرَقِ فَزَرَعْتُهُ»

أي: قصدت. يقال: تَعَمَّده وتعمَّد لَهُ وعَمَده يعْمِده عَمْداً وعَمَدَ إِليه وَلَهُ يَعْمِد عَمَدًا وتعمَّده واعتَمَده: قَصَدَهُ.

والعَمْدُ: ضِدُّ الخطأِ فِي الْقَتْلِ وَسَائِرِ الْجِنَايَاتِ.[٤]

وهو قصد الشيء وإرادته، والعمد والتعمد خلاف السهو، وهو المقصود بالنية، ومنه: فلان عمود قومه، أي قوامهم الذي يقصدونه في الحوائج، قالت عمة امرئ القيس ترثي أخاها حُجْرًا:

---

(١) – مسند الإمام أحمد بن حنبل، باب: حديث النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم، حديث رقم: (١٨٤١٧)، جـ٣٠صـ٣٦٦.

(٢) – الدعاء، بَابُ: تَقَرُّبُ الْعَبْدِ إِلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَ الدُّعَاءِ بِصَالِحِ عَمَلِهِ، حديث رقم: (١٩٠)، صـ٧٦.

(٣) – الدعاء، بَابُ: تَقَرُّبُ الْعَبْدِ إِلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَ الدُّعَاءِ بِصَالِحِ عَمَلِهِ، حديث رقم: (١٩٠)، صـ٧٦.

(٤) – لسان العرب مادة: (ع ـ م ـ د)، جـ٣صـ٣٠٢.

فَإِنْ تَهْلِكْ فَكُلُّ عَمُودِ قَوْمٍ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى هُلْكٍ يَصِيرُ[١]

والفاء دالة على تعقيب الأحداث والمشـــاهد، تعقيبًا يدل على اهتمام الرجل بحفظ أجر هذا الأجير الغاضب، بل وتنميته.

واللام في «الفَرَق» للحضـور، "وهي الواقعة بعد اسـم الإشـارة، نحو {لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ}(البلد:١)، وبعد أي في النداء، نحو: يا أيها الرجل، وفي نحو: السـاعة، والوقت، إذا أريد به الحاضـر"[٢] وهي نوع من لام الجنس ــ عند بعض العلماء ــ[٣] المفيدة للاستغراق بمعرفة المقام، أي فعمدت إلى كل الفرق فزرعته.

وهناك رواية للطبراني تبين كثرة قيامه على هذا الفرق وتعدد زراعته له، وأن ذلك كان في مكان خاص به، ولفظه: (فَبَذَرْتُهُ عَلَى حِدَةٍ فَأَضْعَفَ، ثُمَّ بَذَرْتُهُ فَأَضْعَفَ، حَتَّى كَثُرَ الطَّعَامُ فَكَانَ أَكْدَاسًا)[٤]

وبين الغاية التي وصـــل إليها نتاج هذا الفرق فقال: «**حَتَّى اشْتَرَيْتُ مِنْهُ بَقَرًا وَرَاعِيهَا**» أي: جمعت قيمتهما، فاشتريتهما.

وقدم «**مِنْهُ**» لإفادة الاختصاص؛ فالشراء كان من الفرق ذاته لا من غيره.

ورَاعِي الماشيةِ: حافظُها، صفةٌ غَالِبَةٌ غلَبَةَ الِاسْمِ، وَالْجَمْعُ رُعَاةٌ مِثْلُ قاضٍ وقُضاةٍ، ورِعَاءٌ مِثْلُ جائعٍ وجِياعٍ، ورُعْيانٌ مِثْلُ شَابٍّ وشُبَّانٍ، كسَّروه تَكْسِيرَ الأَسماء كَحاجِرٍ وحُجْرانٍ لأنها صِفَةٌ غَالِبَةٌ.[٥]

---

(١) – من أسرار التعبير القرآني دراسة تحليلية لسورة الأحزاب، للدكتور/ محمد أبو موسى، صـ٦٠، نشر: مكتبة وهبة، الطبعة: الثانية١٩٩٦م.

(٢) – الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي، تحقيق: الدكتور/ فخر الدين قباوة –الأســتاذ محمد نديم فاضــل، صـ١٩٥، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.

(٣) – ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي، صـ١٩٥.

(٤) – الدعاء بَابُ: تَقَرُّبُ الْعَبْدِ إِلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَ الدُّعَاءِ بِصَالِحِ عَمَلِهِ، حديث رقم: (١٨٩)، صـ٧٥.

(٥) – لسان العرب مادة: (ر ـ ع ـ ى)، جـ١٤صـ٣٢٥.

«ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ أَعْطِنِي حَقِّي»

والعطف بـ «ثُمَّ» يدل على طول المدة التي مكثها الأجير لا يطالب بحقه.

وعبر بالمجيء «جَاءَ» للدلالة على أن مجيئه فيه صعوبة؛ فالعودة للمطالبة بحقه الذي رفض أخذه من فترة فيها صعوبة.

ونداؤه بأداة البعيد «يَا» مع قربه لمزيد تنبيهه واستدعاء إصغائه، وتوكيد مضمون الكلام، وللإيذان بأن الخطاب الذي يتلوه معني به جدًا، لائح فيه معنى التهيج والإلهاب.

يقول الزمخشري وهو بصدد حديثه عن النداء بـ(يا): "فإذا نودي به القريب المفاطن فذلك للتأكيد المؤذن بأن الخطاب الذي يتلوه معنىّ به جداً"(١)

وناداه قائلًا: «يَا عَبْدَ اللَّهِ» للاستعطاف وطلب الرفق، والرحمة، ويدل على ذلك أمور منها: نداؤه للرجل بأداة النداء «يَا» التي للبعيد، مع أنه كان قريبًا منه؛ وذلك لما كان يجده من تلهف، وحرص شديد على طلبه؛ فهو كالمستغيث يمد صوته في النداء للتعبير بِنَفَسٍ طويل عما يجده من هم وغم في نفسه لفقره وحاجته، طلبًا في استعطاف الرجل ورفقه به، وكذلك عدوله في المناداة عن اسم المخاطب الحقيقي إلى ما فيه تذكير له بربه، وهو قوله له «عَبْدَ اللَّهِ» فكأنه إنما أراد تخويفه من عقاب الله، وتذكيره بعبوديته لله – سبحانه وتعالى – طالبًا بذلك النجاة مما يعانيه من فقر مدقع.

وبعد أن نبه النداء وأيقظ المشاعر، وهيأ النفس للتلقي جاء الأمر المفيد للالتماس «أَعْطِنِي» والنفس عندما تتلقى هذا الأمر وهي مهيأة يقظة يكون ذلك أدعى للقبول والإجابة وسرعة الامتثال.

وعبر بالإعطاء «أَعْطِنِي» دون الإيتاء؛ للدلالة على أن حقه شيء قليل زهيد؛ يسهل دفعه له؛ فالإعطاء يكون للشيء القليل أو الزهيد إلا إذا قيد بما يدل على الكثرة، كما في قوله تعالى: {كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا}(الإسراء: ٢٠) فإضافة العطاء إلى الله ـ عز وجل ـ ونفي الحظر عنه، يفيد كثرة هذا العطاء.

هذا بخلاف الإيتاء؛ فهو لم يستعمل إلا للشيء الكثير والعظيم الشأن، كالملك والحكمة والرحمة

(١) – الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، جـ١ صـ٨٩، نشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة ١٤٠٧هـ.

والخير والقرآن العظيم، كما في قوله تعالى: { وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ}(البقرة:٢٥١)، وقوله تعالى: { أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ}(هود:٢٨)، وقوله تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ}(الحجر:٨٧).

يضاف إلى ذلك أن رد حق الأجير له متوقف على قبول الرجل ذلك؛ وهذا يناسبه الإعطاء دون الإيتاء؛ لذلك نجد القرآن الكريم يعبر عن أمر المسلمين بإخراج الزكاة بالإيتاء؛ لعدم توقفها على القبول، كما في قوله تعالى: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ} (البقرة: ٤٣)

بينما عبر عن الجزية بالإعطاء في قوله تعالى: {قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ} (التوبة:٢٩)؛ وذلك أن الجزية موقوفة على قبول منا.[١]

«فَقُلْتُ: انْطَلِقْ إِلَى تِلْكَ البَقَرِ وَرَاعِيهَا فَإِنَّهَا لَكَ»

وعبر بالانطلاق ولم يعبر بالذهاب مثلًا؛ لأن الانطلاق يكون عقب المنع، فقد كان هناك منع من الأخذ، وعقب الموافقة زال المنع، فكان الانطلاق بسهولة ويسر.

يقول أبو هلال العسكري: "وأصل الكلمة السهولة والانحلال، وكل شيء تطلقه من حبس أو تحله من وثاق فينصرف كيف يشاء، أو تحلله بعد تحريمه، أو تبيحه بعد المنع تقول أطلقته، وهو طلق وطليق"[٢]

واللام في «البَقَرِ» للحضور، وهي ـــ كما سبق ـــ[٣] "الواقعة بعد اسم الإشارة، نحو {لَا أُقْسِمُ بِهَذَا

(١) – معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم، للدكتور/ محمد محمد داود، صـــ٢٧، ٢٨، نشر: دار غريب للطباعة والنشر ٢٠٠٨م.

(٢) – الفروق اللغوية، تحقيق وتعليق: محمد إبراهيم سليم، صـ٢٦٤، نشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.

(٣) – ينظر: صـ من البحث.

الْبَلَدِ}(البلد:١)، وبعد أي في النداء، نحو: يا أيها الرجل، وفي نحو: الساعة، والوقت، إذا أريد به الحاضر"[١] وهي نوع من لام الجنس ــ عند بعض العلماء ــ[٢] المفيدة للاستغراق بمعرفة المقام، أي انطلق إلى كل البقر.

وورد في بعض روايات البخاري ذكر لأنواع أخرى غير البقر، ولفظه (فَقُلْتُ لَهُ: كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ مِنَ الإِبِلِ وَالبَقَرِ وَالغَنَمِ وَالرَّقِيقِ)[٣]

وعبر باسم الموصول(ما) للدلالة على التعظيم والتفخيم، والتنبيه على الإقبال على صلته، والعائد محذوف والتقدير كل ما تراه.

وقوله: (مِنَ الإِبِلِ وَالبَقَرِ وَالغَنَمِ وَالرَّقِيقِ) بيان لقوله: (كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ)، ولا منافاة بين الروايتين.

وهو من التفصيل بعد الإجمال؛ فبعد أن قال: (كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ)، بدأ في تفصيل وتعداد أنواع هذا الأجر (من الإبل والبقر والغنم والرقيق) وأفاد هذا الإطناب أمرين الأول: أن قوله: (كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ)، لم يكن على سبيل المبالغة أو الاستهزاء.

والآخر: التأكيد على عظم الأجر المدخر عنده لهذا الأجير؛ فهو يؤكد الموضح ويثبته في النفس بعد أن تشوقت إليه في الإجمال.

والتفصيل بعد الإجمال له أثر كبير يترك انطباعه في المتلقي من خلال جمعه جملة من الأمور، ثم يبدأ بتفصيلها أو يحدث العكس فهو "أجدى العلاقات الدلالية التي يشغلها النص لضمان اتصال المقاطع ببعضها عن طريق استمرار دلالة معينة في المقاطع اللاحقة"[٤]

وفي التفصيل بعد الإجمال لون من التأكيد والتقرير؛ وذلك لتشوف السامع مع الإبهام إلى ما يزيله،

---

(١) – الجنى الداني في حروف المعاني صـ١٩٥.

(٢) – الجنى الداني في حروف المعاني صـ١٩٥.

(٣) – صحيح البخاري، بَابُ: مَنِ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَتَرَكَ الأَجِيرُ أَجْرَهُ، فَعَمِلَ فِيهِ المُسْتَأْجِرُ فَزَادَ، أَوْ مَنْ عَمِلَ فِي مَالِ غَيْرِهِ، فَاسْتَفْضَلَ، حديث رقم: (٢٢٧٢)، جـ٣صـ٩١.

٣) لسانيات النص – مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد الخطابي: ٢٧٢، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٧ م.

ويكشف غموضه، فإذا ما جاء الموضح قَرَّ في النفس، وتمكن منها، وترك أثرًا ثابتًا لا يمحي.

وعبر بالأجر (من أجرك) دون الجزاء وما شـابهه؛ لأن لفظ (الأجر) هو ما يعود من ثواب العمل دنيا أو أخرى، كما في قوله تعالى: {وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ} (العنكبوت:٢٧)، وقوله جل شأنه: {وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ} (يوسف:٥٧)

ولا يستعمل الأجر إلا في النفع؛ ويكون فيما كان عن عقد، كما في قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} (البقرة:٢٧٧) وقوله سبحانه وتعالى: {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ}(الشورى:٤٠)

أما الجزاء فهو يستعمل في النافع والضار، وفيما كان عن عقد وغير عقد [١] كما في قوله تعالى: {وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا} (الإنسان:١٢) وقوله تعالى: {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا}(النساء:٩٣) وهذا من بالغ الإكرام لهذه الأجير، والمقام مقام تلطف به.

والفاء في قوله: «**فَإِنَّهَا لَكَ**» واقعة في جواب الأمر؛ لربطه به، وأفادت «**لَكَ**» زيادة التقرير والاعتراف بحقه؛ لأن اللام في "لك" لام الملك.

هذا وفي تكرار الضمير العائد على البقر «**انْطَلِقْ إِلَى تِلْكَ الْبَقَرِ وَرَاعِيهَا فَإِنَّهَا لَكَ**» إشارة إلى مكانة تلك البقر وأهميتها للأجير وللتنبيه على أنها كلها لهذا الأجير.

«**فَقَالَ: أَتَسْتَهْزِئُ بِي؟**» الهمزة للإنكار التوبيخي، أي: ما ينبغي أن يكون منك هذا.

وجاء أسلوب الاستفهام لينفي الرّتابة عن النص؛ لأنه يعد شكلًا من أشكال التنوع في الأساليب، والانتقال من الخبر إلى الإنشاء، كما أنه يدفع المخاطبين إلى التفكّر والتأمل.

و «**تَسْتَهْزِئُ**» من استهزأ بفلان: إذا سخر منه؛ فهو يستنكر عليه ما يدعيه من أن أجرته قد بلغت كل

(١) - ينظر: من أسرار النظم القرآني آيات وعبر صـ٢٢.

ذلك.

وعبر بالاستهزاء دون السخرية؛ لأنه لم يسبق منه فعل يستهزأ به من أجله، فهو إنما يستنكر عليه ما يدعيه من أن أجرته قد بلغت كل ذلك.

فالفرق بين الاستهزاء والسخرية ـــ كما يقول أبوهلال العسكري: "أن الإنسان يستهزأ به من غير أن يسبق منه فعل يستهزأ به من أجله، والسخر يدل على فعل يسبق من المسخور منه، والعبارة من اللفظين تدل عن صحة ما قلناه؛ وذلك أنك تقول: استهزأت به؛ فتعدى الفعل منك بالباء والباء للإلصاق، كأنك ألصقت به استهزاء من غير أن يدل على شيء وقع الاستهزاء من أجله، وتقول سخرت منه فيقتضي ذلك من وقع السخر من أجله، كما تقول: تعجبت منه فيدل ذلك على فعل وقع التعجب من أجله، ويجوز أن يقال: أصل سخرت منه التسخير، وهو تذليل الشيء وجعلك إياه منقادًا، فكأنك إذا سخرت منه جعلته كالمنقاد لك، ودخلت من للتبعيض لأنك لم تُسَخِّره كما تُسخّر الدابة وغيرها، وإنما خدعته عن بعض عقله، وبني الفعل منه على فعلت لأنه بمعنى عنيت، وهو ـ أيضًا ـ كالمطاوعة والمصدر السخرية، كأنها منسوبة إلى السخرة، مثل: العبودية واللصوصية وأما قوله تعالى: {لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا} (الزخرف:٣٢) فإنما هو بعث الشيء المسخر، ولو وضع موضع المصدر جاز، والهزء يجري مجرى العبث؛ ولهذا جاز هزأت مثل: عبثت فلا يقتضي معنى التسخير؛ فالفرق بينهما بَيِّن"[١]

فيتميز الاستهزاء بأنه لا يقتضي وجود سبب يدعو إليه، وإنما هو إلصاق للعيب والذم بمن لا يستحقه حسدًا أو حقدًا.

بينما تتميز السخرية بالشدة، ووجود سبب يدعو إليها.[٢]

ونفى عنه الاستهزاء به في الحال دون تعقيب، وأكد أن كل ما رآه ملك له، فقال:

---

(١) – معجم الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، صـ٥٠، نشر: مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة: الأولى ١٤١٢هـ.

(٢) – ينظر: معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم صـ٢٨٦.

«قَالَ: فَقُلْتُ: مَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ وَلَكِنَّهَا لَكَ»

و"يختص هذا المشهد الدرامي في عرض جانب من شخصية الرجل المبتلى، وهي تقوى هذا العبد، وإخلاصه لله بأعماله الصالحة، وإحسانه إلى أجيره بحفظه لأمواله حتى أصبح مالًا عظيمًا.

ومن هنا يمكن عد هذا المشهد أحد العناصر الأساسية التي كان لها الدور في الكشف عن الطبائع النفسية والاجتماعية لشخصيات القصة، ومن جهته فقد أسهم في توسيع الزمن في القصة وتمديد السرد فيها."(١)

وقد صدرت الجملة بـ«مَا»؛ لأن إنكار الاستهزاء صدر من الأجير، وكان المقصود نفي الاستهزاء في الحال تحقيقًا لمعنى الأمر بالانطلاق وأخذ البقر وراعيها، وكانت «مَا» هي المناسبة للنفي في الحال كما ذكر الشيخ عبد القاهر، وهو يقرر نظرية النظم إذ يقول: "وينظر في "الحروف" التي تَشْتركُ في معنىً، ثم يَنفردُ كلُّ واحدٍ منها بخصوصيةٍ في ذلك المعنى، فيضع كلًا من ذلك في خاصِّ معناهُ، نحْوَ أن يجيءَ بـ "ما" في نفي الحال، وبـ "لا" إذا أراد نفي الاستقبال، و بـ "إنْ" فيما يترجَّحُ بينَ أن يكونَ وأنْ لا يكون، وبـ "إذا" فيما عُلمَ أنه كائنٌ."(٢)

فالرجل بنى كلامه على ما يحقق قصده وهو نفي الفعل عنه لم يثبت أنه مفعول فقال ما فعلت ولم يقل ما أنا فعلت، يقول الشيخ عبد القاهر: " إذا قلْتَ: "ما فعلتُ"، كنْتَ نَفَيْتَ عنك فِعْلًا لم يَثْبتْ أَنه مفعولٌ وإذا قلتَ: "ما أنا فعلْتُ"، كنتَ نفيت عنك فعلًا يثبت أَنه مفْعُولٌ.

تفسيرُ ذلك: أَنك إذا قلتَ: "ما قلتُ هذا"، كنتَ نَفيتَ أن تكونَ قد قلْتَ ذاك، وكنتَ نُوظرْتَ في شيءٍ لم يَثْبُتْ أنه مَقُولٌ؟

وإذا قلتَ: "ما أنا قلتُ هذا"، كنتَ نفَيْتَ أن تكون القائلَ له، وكانتِ المناظرةُ في شيءٍ ثَبَتَ أنه مقُولٌ. وكذلك إذا قلتَ: "ما ضربتُ زيداً"، كنتَ نفيتَ عنكَ ضَرْبَه، ولم يَجِبْ أن يكونَ قد ضُرِبَ، بل يَجوزُ أن يكون ضَرَبَه غَيرُك، وأنْ لا يكونَ قد ضُرِبَ أصْلاً. وإذا قلتَ: "ما أنا ضربْتُ زيداً"، لم تَقلْه إلاَّ وزَيدٌ

(١) – بنية الزمان والمكان في قصص الحديث النبوي الشريف صـ٨٠.

(٢) – دلائل الإعجاز، صـ٨٢.

مضروبٌ، وكان القصْدُ أن تَنْفي أنْ تكونَ أنتَ الضاربَ."[١]

وورد في بعض روايات البخاري تأكيد أن الأجير أخذ كل ذلك المال الذي أشـار به إليه؛ لدفع توهم أنه أخذ الجزء، وترك الجزء، أو عدم الشـمول في الأخذ، ولفظه: (فَأَخَذَهُ كُلَّهُ، فَاسْـتَاقَهُ، فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَـيْئًا)[٢]، وفي ذلك إشـارة إلى أن الرجل لم يطمع في شـيء من ذلك، ولو بقدر ما يترك له الأجير من مكافأة له نظير فعله.

وهكذا ساعد أسلوب الحوار على التخلص من الأخطاء المعرفية التي تحول دون الوصول للحقيقة، وأدي إلى وضوح الفكرة، واستجلاء كل معالم المشكلة وملامحها؛ وبذلك يساعد على الوصول إلى حلول منطقية للمشكلات.

وتأتي جملة الاستدراك «**وَلَكِنَّهَا لَكَ**» لتعلن الحقيقة، وهي أن تلك البقر وراعيها ملك للأجير، فالأجير نفى بقوله: «**أَتَسْتَهْزِئُ بِي؟**» أن تكون تلك البقر وراعيها له؛ فاستدرك الرجل الأمين وأعلن أنها له وأكد ذلك فقال: «**وَلَكِنَّهَا لَكَ**»؛ فالاستدراك ــ هنا ــ واقع موقعه؛ إذ هو واقع بين المتنافيين؛ فقد نسبت حكمًا لاسـمها، يخالف المحكوم عليه قبلها، نفيًا وإيجابًا؛ "فتسـتدرك بها النفي بالإيجاب، والإيجاب بالنفي."[٣]

فهي تجعل للوحدة التي تليها فعلًا مضادًا لما قبلها، ويظهر التضاد والتعارض بين الحجة الأولى قبل (لكن)، وهي نفي أن يكون البقر له، والحجة الثانية بعد (لكن)، وهي إثبات أن البقر به.

وتدل أيضًا على أهمية الكلام والحكم الذي يأتي بعدها.

وختم قصته بمناجاته وتضرعه لربه أن يفرج عنهم ما هم فيه فقال:

«**اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا فَكُشِفَ عَنْهُمْ**»

---

(١) – دلائل الإعجاز، صـ١٢٤.

(٢) – صحيح البخاري، بَابُ: مَنِ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَتَرَكَ الأَجِيرُ أَجْرَهُ، فَعَمِلَ فِيهِ المُسْتَأْجِرُ فَزَادَ، أَوْ مَنْ عَمِلَ فِي مَالِ غَيْرِهِ، فَاسْتَفْضَلَ، حديث رقم: (٢٢٧٢)، جـ٣صـ٩١.

(٣) – الجنى الداني في حروف المعاني صـ٦١٦.

وكان لتكرار هذه الجملة أثر في تحديد المعالم البارزة للقصة وتحديد مضامينها.

فهذه "مناجاة ثالثة ترسم مفاجأة غريبة، أجير كان يطمع في قدح من الذرة فقط، يسارع إلى طلبه؛ فيقول له صاحبه اذهب إلى تلك البقر ورعاتها فخذ، فلا يصدق إطلاقًا، ويصيح أتستهزئ بي؟ ثم يجد الجد دون الهزل، فيصبح صاحب البقر والرعاة، أي دعوة إلى المحافظة على حق الأجير أقوى مما رسمته القصة في فصلها الأخير، وأخيرًا جاءت النتيجة النهائية سارة مطمئنة إذ كشف الله الصخرة فخرجوا يمشون"(١)

فعقب انتهائه مباشرة من مناجاته لربه وتضرعه كشفت عنهم الغمة، وخرجوا من الغار.

«**فَافْرُجْ عَنَّا فَكُشِفَ عَنْهُمْ**»

جملة جواب الشرط، وصدرت بالفاء لربط الجواب بالشرط، فهي تشد جملة الجواب، وتربطها بجملة الشرط؛ حتى يصبحا كالجملة الواحدة؛ وفي هذا تماسك للأسلوب، وتلاحم لأجزائه، وتشابك لأطرافه.

وجاء جواب الشرط جملة فعلية فعلها فعل الأمر للتضرع إلى الله -سبحانه وتعالى- والإلحاح في الطلب، وإبراز مدى رجاء الداعي تحقق مضمون الجواب، وهو تفريج كربه بإزاحة الصخرة.

ومن محاسن بناء الجواب ـ هنا ـ الإيجاز، وهو يتناسب مع جو الداعي المضطر؛ حيث تضيق نفسه ذرعًا من شدة ما هو فيه.

وحذف الفاعل في قوله: «**فَكُشِفَ عَنْهُمْ**» لوضوحه والعلم به، كما يدل هذا الحذف وبناء الفعل للمفعول على تعظيم وتفخيم هذا الكشف؛ وينبئ عن قدرة الله تعالى التي أزاحت الصخرة عن باب الغار، كما يشعر تحقيق هذا الكشف وأن فيه الخير الكثير لهؤلاء النفر الثلاثة؛ فالمخاطب يشغله ذلك الخير الكثير ويأخذه فلا يسأل عمن أعده ولا يشغل به.

وعبر بالفعل المبني للمجهول تأكيدًا للاهتمام بالحدث المجرد؛ وتصويرًا لسرعة كشف الغمة عنهم، وتناسقًا للختام مع البدء.

---

(١) - البيان النبوي صـ ١٣٢.

فحذف الفاعل للعلم به نقل الاهتمام من الفاعلية إلى الحدثية، والتركيز على الحدث وهو (كشف الكربة)

ومن أهم مزايا هذا النوع من الحذف الاختزال في المبنى مقابل الاتساع في المعنى.

وورد في بعض روايات البخاري قوله: (فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ؛ فَخَرَجُوا يَمْشُونَ)[١]، وهو تتميم أفاد بيان كيفية خروجهم، وابتعاد الصخرة تمامًا عن باب الغار.

وبه تحقق رد الأعجاز على الصدور[٢]؛ ففي صدر هذا الحديث الشريف ما يدل على العجز؛ فقد دل قوله صلى الله عليه وسلم **"خَرَجَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ يَمْشُونَ"** على عجز الحديث وآخره (فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ؛ فَخَرَجُوا يَمْشُونَ)، أدى إلى التآخي بين أجزاء الكلام، ودلالة أوله على آخره، وخضوع آخره لأوله وارتباطه به، مما يؤكد معاني الكلام ويقرها بالأذهان، وهذا من بلاغة القول.

فالغرض من هذا الفن البديعي إحداث الترابط والتآلف والتآخي بين أجزاء الحديث؛ لتتأكد معانيه وتقرر في الأذهان؛ فيقبل المتلقي عليه.

وتظهر بلاغة هذا الفن البلاغي من خلال دلالة أول الكلام على آخره، وارتباط أوله بآخره، مما يزيد المعنى قوة وتوكيدًا.

كما أنه – كما يقول ابن رشيق– رحمه الله–:(يكسب الكلام الذي يكون فيه أبهة، ويكسوه رونقًا وديباجة، ويزيده مائية وطلاوة.)[٣]

والميزة تتعدد في هذا النوع من البلاغة؛ فهي نوع من الدلالة، فالكلام الذي تردد ألفاظه ويرجع بعضها إلى بعض فيه تقرير وبيان وتدليل، ونوع من زيادة المعنى، ونوع من الإيحاء بالكلمة الثانية، ونوع من

(١) – صحيح البخاري، بَابُ: مَنِ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَتَرَكَ الأَجِيرُ أَجْرَهُ، فَعَمِلَ فِيهِ المُسْتَأْجِرُ فَزَادَ، أَوْ مَنْ عَمِلَ فِي مَالِ غَيْرِهِ، فَاسْتَفْضَلَ، حديث رقم: (٢٢٧٢)، جـ٣صـ٩١.

(٢) – وهو: أن يجعل قبل العجز من الفقرة أو البيت ما يدل على العجز إذا عرف الروي" التلخيص ج٤ صـ٣٠٦.

(٣) – العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، جـ٢صـ٣، نشر: دار الجيل، الطبعة: الخامسة، ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م.

الموسيقا يحدثها التكرار.)[١]

وبهذه النهاية البديعة، التي تشعر بانقشاع الغمة، ونهاية المحنة، بعد التضرع إلى الله بصالح الأعمال، تختم قصة أصحاب الغار.

" وهكذا تتجلى البلاغة في الصحيح من تجسيد المعاني الإسلامية، وتقريب الأفكار والأغراض ليحسن وقعها في إفهام المتلقين، ووجدانهم وخيالهم، فيزدادوا بها إعجابا وقناعة ويعملوا على هديها القويم"[٢]

لقد التقت خيوط القصة لتؤدي إلى نسيج قوي متماسك يقبض عليه القارئ بيده معجبًا، فالطاعات تفرج الكربات، والعمل الصالح ينفع صاحبه في المأزق الحرج، والقصة بصياغتها القوية نمط رائع من الأدب يؤكد أن الفن في أرفع مجالاته يلتقي بالدين حين يشيد بمبادئ الرحمة والعفة والحق والإنصاف، وأن محمدا ـ ﷺ ـ حين جعل الأقصوصة من عدده التي يغزو بها المشاعر، ويعبئ النفوس إنما اعتمد على سلاح قوي نفاذ، وقد أجاد استعماله بما أبدع في قصصه من تصوير وتلوين"[٣]

وكما هو الحال في ميدان القصص استغني في هذه القصة النبوية عن التفصيلات الجزئية التي يمكن إدراكها من السياق؛ وذلك لتنبيه المخاطب وإثارة فكره لمتابعة الأحداث والتركيز على المشاهد الأساسية، والوقوف على مواطن العبرة فيها.

واستدل بهذا الحديث "على أنه يستحب للإنسان أن يدعو في حال كربه وفي دعاء الاستسقاء وغيره بصالح عمله ويتوسل إلى الله تعالى به لأن هؤلاء فعلوه فاستجيب لهم وذكره النبي ﷺ في معرض الثناء عليهم وجميل فضائلهم وفي هذا الحديث فضل بر الوالدين وفضل خدمتهما وإيثارهما عمن سواهما من الأولاد والزوجة وغيرهم وفيه فضل العفاف والانكفاف عن المحرمات لاسيما بعد القدرة عليها

(١) – بلاغة أرسطو لإبراهيم سلامة صـ١٢٧، ١٢٩.

(٢) – أساليب الطلب في الحديث الشريف، دراسة لغوية بيانية في الموطأ، للدكتور/ محمد سعيد عبد الله، صـ١٨٥، نشر: دار الثقافة للنشر والتوزيع ٢٠٠٠م.

(٣) – المرجع السابق صـ١٨٧.

والهم بفعلها ويترك لله تعالى خالصا وفيه جواز الإجارة وفضل حسن العهد وأداء الأمانة والسماحة في المعاملة وفيه إثبات كرامات الأولياء وهو مذهب أهل الحق[١]

الخصائص البلاغية:

بمراجعة التحليل البلاغي لجمل قصة الرجل والمرأة العفيفة يتبين لنا أنها تتميز بمجموعة خصائص بلاغية من أهمها ما يلي:

١- شيوع حروف الذلاقة " الراء، والباء، والميم، والنون، واللام، والفاء" التي توحي بالأجواء النفسية للأصحاب الثلاثة، وتدل على مدى مجاهدتهم وإيبائهم.

ولما تمتاز به هذه الأصوات من وضوح سمعي، إذ إن الأصحاب الثلاثة يريدون أن يحدثوا تأثيرًا ما لدى المتلقي بالتركيز على هذه الأصوات. فالتكرار وسيلة لإثراء الموقف النفسي، وحشد المواقف والإحساسات.

كما يؤدي (تكرار الحروف دورًا عظيمًا في الموسيقا اللفظية؛ إذ قد تشترك الكلمات في حرف واحد أو أكثر، ويكون لهذا الاشتراك فائدة موسيقية عظيمة، وقيمة نغمية جليلة تؤدي إلى زيادة الأداء بالمضمون الشعري)[٢].

٢- شيوع التضعيف فقد ورد في إحدى عشرة كلمة مضعفة.

وقد أسهم شيوع التضعيف في تمثيل معاني الألم والرفض، والشعور بالضيق، وأكد المعنى؛ فأدى وظيفة انفعالية ومعنوية. فهو أشبه بسياق المعنى.

(١) - المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي، جـ١٧ صـ٥٦، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الثانية ١٣٩٢هـ.

(٢) أبو فراس الحمداني الموقف والتشكيل الجمالي، د/ النعمان القاضي، صـ٥٠١، نشر دار الثقافة ودار التوفيق، الأزهر، ١٩٨١م.

كما أن في التضعيف تخفيفًا من حدَّة الانفعال، وذلك بتكرار الضغط على الحرف المشدد[١] وإشعاراً بقيمة الحدث وشدة وقعه وأثره في نفس الأصحاب الثلاثة.

٣ـــ اتسمت القصة بالدقة في اختيار الألفاظ؛ واختيار الكلمات ذات المقاطع الطويلة تصويرًا لآهات الأصحاب الثلاثة؛ فهي تعكس امتداد الصوت والنفس، واستطالة الآهات.

فألفاظ القصـــة تميزت بالدقة في الاختيار وبســـعة الدلالات وتنوعها وبإثارة الخيال وبقوة التأثير في المتلقين.

٤- غلبة التعريف حيث ورد في اثنين وعشرين موضعًا، كان النصيب الأكبر منها لتعريف المسند إليه حيث ورد معرفة في ثمانية عشر موضعًا؛ فعرف بالضمير في أربعة عشر موضعًا، وعرف بـ"ال" في ثلاثة مواضع، وعرف بالإشارة في موضع واحد، وعرف المسند في أربعة مواضع؛ فعرف بالضمير في ثلاثة مواضع، وعرف بالإشارة في موضع واحد.

في حين ورد التنكير في ثلاثة مواضع، كلها من نصيب المسند.

٥- شيوع الأسلوب الخبري حيث ورد عشرين مرة؛ كان النصيب الأكبر منها للخبر الابتدائي؛ فقد ورد سبع عشرة مرة، وورد الخبر الطلبي ثلاث مرات.

في حين ورد الأسلوب الإنشائي ثماني مرات؛ كان النصيب الأكبر منها للإنشاء الطلبي؛ فقد ورد ست مرات، جاء بصيغة النداء ثلاث مرات، وجاء بصيغة الأمر مرتين، وجاء بصيغة الاستفهام مرة واحدة.

أما الإنشاء غير الطلبي فقد ورد بأسلوب الشرط مرتين.

وذلك لاعتماده الحديث على الأسلوب التقريري القصصي.

٦- شيوع التعبير بالجملة الفعلية؛ حيث وردت خمسًا وعشرين مرة. كان النصيب الأكبر منها للفعل الماضي فقد جاء في سبعة عشر موضعًا؛ ليدل على ثبات معاناة هذين الرجلين وتحققها، وهي ليست ثابتة فقط، وإنما هي متجددة الحدوث ومستمرة؛ ولذلك أتى بالفعل المضارع في خمسة مواضع؛ ليدل على تجدد الحدوث واستمرار هذه المعاناة، وكانت الثلاثة الباقية من نصيب الأمر.

---

(١) الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه، جـ١ صـ٦٥.

أما الجملة الاسـمية فقد وردت أربع مرات فقط؛ وفي هذا دلالة على اعتماد القصـة على الحركة واهتمامها بعنصر الزمن.

٧- شيوع العطف بـ(الفاء) الدالة على الترتيب والتعقيب؛ حيث ورد في تسعة مواضع.

وجاء العطف بالواو في موضعين اثنين. وقال الآخر، عطف القصة، وأبى ذاك

أما الفصل فورد في أربعة مواضع.

٨- شـيوع الضـمائر التي تحيل إلى مرجع واحد في القصـة؛ فهناك ضـمير الغائب في (فَأَعْطَيْتُهُ، الفَرَقِ فَزَرَعْتُهُ، اشْتَرَيْتُ مِنْهُ) اتحدت هذه الضمائر في مرجعيتها إلى المذكور الأول (أَجِيرًا)، وضـمير الغائب في (وَرَاعِيهَا، فَإِنَّهَا لَكَ، وَلَكِنَّهَا لَكَ) اتحدت هذه الضمائر في مرجعيتها إلى المذكور الأول (البَقَرِ).

وهذه الإحالة حققت التماسـك النصـي للقصـة، وهي ـــ أعني الإحالة ـــ تعد من أهم الروابط بين مكونات الخطاب؛ حيث تقدمه في صـورة جمل متسـلسـلة، سـهلة الاسـتيعاب والتذكر، وهو ما يسـهل التعايش مع الخطاب، ومن ثم الاقتناع به، والإذعان لما جاء فيه.

المبحث الخامس

الخصائص البلاغية العامة في قصة أصحاب الغار الثلاثة

بعد أن انتهيت من تحليل قصة أصحاب الغار الثلاثة، وبينت الخصائص البلاغية التي تميزت بها كل قصة من قصص أصحابها الثلاثة، أقف هنا مع بعض الخصائص البلاغية العامة التي شاعت في قصة أصحاب الغار الثلاثة؛ لأتحدث عنها بصفة عامة، ومن أهمها ما يلي:

١- شيوع حروف الذلاقة " الراء، والباء، والميم، والنون، واللام، والفاء" التي توحي بالأجواء النفسية للأصحاب الثلاثة، وتدل على مدى مجاهدتهم وإيبائهم.

ولما تمتاز به هذه الأصوات من وضوح سمعي، إذ إن الأصحاب الثلاثة يريدون أن يحدثوا تأثيرًا ما لدى المتلقي بالتركيز على هذه الأصوات. فالتكرار وسيلة لإثراء الموقف النفسي، وحشد المواقف والإحساسات.

كما يؤدي (تكرار الحروف دورًا عظيمًا في الموسيقا اللفظية؛ إذ قد تشترك الكلمات في حرف واحد أو أكثر، ويكون لهذا الاشتراك فائدة موسيقية عظيمة، وقيمة نغمية جليلة تؤدي إلى زيادة الأداء بالمضمون الشعري)[(١)].

٢- شيوع التضعيف فقد ورد في خمس وأربعين كلمة، كان النصيب الأكبر منها لقصة الرجل مع ابنة عمه؛ حيث وردت فيها تسع عشرة كلمة مضعفة، في حين كان نصيب قصة الرجل البار بأبويه ثلاث عشرة كلمة، وكان نصيب قصة الرجل الأمين إحدى عشرة كلمة مضعفة؛ مما يدل على أن انفعالات صاحب ابنة عمه، وشعوره بالضيق كان أكثر وضوحًا منه في قصة الرجل الأمين.

وقد أسهم شيوع التضعيف في تمثيل معاني الألم والرفض، والشعور بالضيق، وأكد المعنى؛ فأدى وظيفة انفعالية ومعنوية. فهو أشبه بسياق المعنى.

---

(١) أبوفراس الحمداني الموقف والتشكيل الجمالي، د/ النعمان القاضي، صـ٥٠١، نشر دار الثقافة ودار التوفيق، الأزهر، ١٩٨١م.

كما أن في التضعيف تخفيفًا من حدَّة الانفعال، وذلك بتكرار الضغط على الحرف المشدد[1] وإشعاراً بقيمة الحدث وشدة وقعه وأثره في نفس الأصحاب الثلاثة.

٣ـــ شيوع الدقة في اختيار الألفاظ؛ واختيار الكلمات ذات المقاطع الطويلة تصويرًا لآهات الأصحاب الثلاثة؛ فهي تعكس امتداد الصوت والنفس، واستطالة الآهات.

فألفاظ القصـــة تميزت بالدقة في الاختيار وبســـعة الدلالات وتنوعها وبإثارة الخيال وبقوة التأثير في المتلقين.

٤- غلبة التعريف حيث ورد في ستة وسبعين موضعًا؛ كان النصيب الأكبر منها لتعريف المسند إليه؛ فقد ورد المسند إليه معرفًا في اثنين وخمسين موضعًا، كان النصيب الأكبر منها للتعريف بالضمير؛ حيث عرف به في تسعة وثلاثين موضعًا، وعرف بـ (ال) في تسعة مواضع، وعرف بالإضافة في موضعين، وعرف بالإشارة في موضعين.

وورد المسند معرفًا في أربعة وعشرين موضعًا؛ فعرف بالضمير في تسعة مواضع، وعرف بـــ(ال) في خمسة مواضع، وعرف بالإضافة في أربعة مواضع، وعرف بالإشارة في أربعة مواضع، وعرف بالعلمية في موضعين.

في حين ورد التنكير في تسعة مواضع؛ كان النصيب الأكبر منها لتنكير المسند فقد ورد منكرًا في سبعة مواضع، وورد المسند إليه نكرة في موضعين اثنين.

وفي ذلك دلالة على أن الكرب الذي حل بهم بيِّن وواضح وأنه بالغ الأثر.

٥- شيوع الأسلوب الخبري حيث ورد سبعًا وستين مرة، كان النصيب الأكبر منها للخبر الابتدائي؛ فقد ورد ستين مرة، وورد الخبر الطلبي سبع مرات.

في حين ورد الأسلوب الإنشائي عشرين مرة، كان النصيب الأكبر منها للإنشاء الطلبي؛ فقد ورد ست عشرة مرة؛ ست منها بصيغة الأمر، وست أخرى بصيغة النداء، وواحدة للاستفهام، وأخرى للنهي. وورد الإنشاء غير الطلبي أربع مرات بصيغة أسلوب الشرط.

(١) الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه، جـ١ صـ٦٥.

٦- شيوع التعبير بالجملة الفعلية؛ حيث وردت ثلاثًا وسبعين مرة؛ كان النصيب الأكبر منها للفعل الماضي فقد جاء في خمسة وأربعين موضعًا، وجاء الفعل المضارع في ثلاثة وعشرين موضعًا، وجاء الأمر في خمسة مواضع.

أما الجملة الاسمية فقد وردت في سبعة عشر موضعًا؛ وفي هذا دلالة على اعتماد القصة على الحركة واهتمامها بعنصر الزمن.

٧- شيوع العطف بين الجمل بـ(الفاء) المفيدة للترتيب والتعقيب والسببية؛ وذلك للدلالة على تعاقب الأحداث وتسلسلها بدون مهلة؛ فقد جاءت في اثنين وثلاثين موضعًا.

وجاء العطف بـ(الواو) في خمسة مواضع، وجاء العطف بـ(ثم) المفيدة للتراخي في موضعين اثنين.

في حين جاء الفصل بين الجمل في اثني عشر موضعًا.

٨- شيوع الإيجاز بالحذف كحذف المسند إليه والمفعول به، والمفضل عليه، وحذف ياء النداء؛ فالقصة اتسمت بالإيجاز في عرض أحداثها، فقد طويت أحداث كثيرة وخاصة بعد فاء الفصيحة في قوله «فَيَشْرَبَانِ»، وقوله: «فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا»، وفي هذا إعمال الفكر وكثرة التأمل للاهتداء إلى تقدير المحذوف.

٩- شيوع الإطناب ممثلًا في التفصيل بعد الإجمال والتتميم والتكرار وذكر الخاص بعد العام.

١٠- كان لتكرار جملة اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا أثر في تحديد المعالم البارزة للقصة وتحديد مضامينها، كما أن التكرار هنا يوحي بالاهتمام بما بعد لفظة (اللهم)؛ لأنها مفتاح الدعاء؛ معناها: يا الله، وقد خصت بدعاء الله تعالى.(١)

وبهذا ندرك قوة دلالة هذه اللفظة على النداء، وفي تكرارها هنا إشارة إلى عظم شأنها في الدعاء؛ ففي القصة تكررت أكثر من مرة إظهارًا لتكرار النداء المشعر بضعف الداعي وحاجته للمدعو؛ فيلحظ في قصص الأصحاب الثلاثة شدة حاجتهم إلى تفريج كربهم وإزالة الغمة عنهم.

(١) - ينظر: مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان عدنان داوودي، نشر: دار القلم دمشق، الدار الشامية بيروت، الطبعة الأولى:١٤١٢هـ.

والتكرار (يخلع على الكلام رونقا وجمالا، ويضفي عليه بشاشة وبهاء ويضيف إليه ألوانا من الأنغام المحببة، ويشرق منه صورا جديدة تحمل أطيافا جديدة من المعاني والأخيلة والصور)[١]

وتكرار الجملة يأتي (لفائدة معنوية إضافة إلى الجمالية الأسلوبية التي تضفي على النص إيقاعا واضحا، وتكرار العبارة يضفي على النص إيقاعا ونغما أكبر بكثير مما تقتضيه المفردة المكررة والصوت المكرر، إذ إن في العبارة إيقاعا مستمدا من اللفظة ذاتها ومن أصواتها المفردة، إضافة إلى الإيقاع المتكون من العبارة نفسها)[٢]

١١- كثرت في هذه القصة جملة "قال" وجاء معظمها على الاستئناف البياني، وهو من أقوى الأساليب وأبلغها؛ لأنه يحتاج إلى إعمال فكر وزيادة تدقيق لإدراك وجه ارتباط الجمل ببعضها، وكفى هذا الأسلوب مكانة ما ذكره إمام البلاغيين: "فأنت ترى الكلام بها مستأنفًا غير مستأنف ومقطوعًا موصولًا معًا.[٣].

١٢- تعددت أساليب التأكيد في هذه القصة مما يؤكد العناية بمضمون النص، وتقرير الأحكام وزيادة الإقناع.

١٣- حفلت التراكيب في القصة بأنواع من القيود كالتقييد بالشرط والتقييد بالصفة والحال والتمييز، وكان للقيد أثر كبير في توجيه المعنى وإبراز صورته.

١٤- بنيت بعض التراكيب على أسلوب تقديم ما حقه التأخير، وكان للتقديم أثر واضح في إظهار صورة المعنى وبيان موضع العناية والاهتمام.

١٥- تنوع الروابط التي أحكمت العلاقات السياقية بين أجزاء الجملة، وبين الجمل على مستوى التراكيب فمنها: الروابط الحرفية، والروابط الجملية، والروابط المعنوية.

---

(١) - البنية الإيقاعية في شعر حميد سعيد، حسن الخرفي: صـ ١٠١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٩م.

(٢) - جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، للدكتور/ ماهر مهدي هلال، صـ١٣٦، نشر: دار الرشيد بغداد ١٩٨٠م.

(٣) - دلائل الإعجاز صـ٢٧٣.

فبالنسبة للروابط الحرفية؛ فمنها حروف العطف كالواو، والفاء، وثم، وحروف النفي مثل: ما ـــ لا ـ وحروف الاستفهام مثل: الهمزة، هذا إلى جانب الكثرة من حروف الجر والشرط والقسم، وكل هذه الروابط تؤدي إلى التواصل اللغوي، وتعليق التراكيب بعضها ببعض؛ فتبدو في وحدة متماسكة، متين سبكها، قوى بنيانها سلسة انتقالاتها، مزجاة إلى غاياتها.

ويلاحظ أن هذه الروابط كانت ذات أثر فعال في المعاني المقصودة من التراكيب. وقد تبين من خلال تحليل المشاهد أن:

- الواو مثلًا لم تأت فقط لمطلق الجمع، وإنما دلت كذلك على الترتيب في توالى الأحداث، واستقلالها واتصالها.

ولم تكن كذلك بين تراكيب القصة، وإنما جاءت في أول القصة دالة على عطف القصة على قصة أخرى، فكانت أداة ربط بين مضمون القصتين.

وكذلك ـ الفاء ـ فقد توالت كثيرًا في التراكيب ذات الأحداث المتعاقبة.

وأما بالنسبة للروابط الجملية فقد صدرت القصة بالجمل التي تعد من المعالم البارزة الدالة على بداية القصة، وسلكها مع القصص الأخرى، مثل: وَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ، وهذه البدايات متماثلة مع بدايات القصص الأخرى، فدل هذا التماثل على الاتصال والترابط، ووحدة المنهج والغرض في التذكير والإنذار.

كل هذه الجمل وسائل ربط محكم في تماسك أجزاء القصة الواحدة، وتماسك القصة الواحدة في الهيكل القصصي كله.

ويشد من أزر هذا التماسك روابط معنوية وهي مبثوثة في تضاعيف القصة كلها مثل: كمال الاتصال، وشبه كمال الاتصال، والترابط الإسنادي بين الجمل الاسمية والفعلية.

١٦- شيوع الضمائر التي تحيل إلى مرجع واحد في القصة؛ فهناك ضمير الغائب في (فَأَصَابَهُمُ، عَلَيْهِمْ، بَعْضُهُمْ، عَمِلْتُمُوهُ) اتحدت هذه الضمائر في مرجعيتها إلى المذكور الأول (ثَلاَثَةُ نَفَرٍ) وضمير الغائب في (فَإِذَا هُمَا نَائِمَانِ، أُوقِظَهُمَا، وَدَأْبَهُمَا) اتحدت هذه الضمائر في مرجعيتها إلى المذكور الأول (كَانَ

لِي أَبَوَانِ).

وضـــمير المتكلم في (إِنِّي، كَـانَ لِي أَبَوَانِ، أَبَوَيَّ، أَهْلِي، امْرَأَتِي، رِجْلَيَّ، دَأْبِي، أَنِّي) اتحدت هـذه الضـمائر في مرجعيتها إلى المذكور الأول (فَقَالَ أَحَدُهُمْ)، وضـمير الغائب في (مِنْهَا، تُعْطِيَهَا، رِجْلَيْهَا، تَرَكْتُهَا) اتحدت هذه الضـمائر في مرجعيتها إلى المذكور الأول(امْرَأَةً) وضـمير الغائب في (فِيهَا، جَمَعْتُهَا) فهذان الضـميران اتحدا في مرجعيتهما إلى المذكور الأول(مِائَةَ دِينَارٍ) وضـمير المتكلم في (أَنِّي، عَمِّي، أَنِّي) اتحدت هذه الضمائر في مرجعيتها إلى المذكور الأول (وَقَالَ الآخَرُ)

وضـمير الغائب في (فَأَعْطَيْتُهُ، الفَرَقِ فَزَرَعْتُهُ، اشْـتَرَيْتُ مِنْهُ) اتحدت هذه الضـمائر في مرجعيتها إلى المذكور الأول (أَجِيرًا)، وضـمير الغائب في (وَرَاعِيهَا، فَإِنَّهَا لَكَ، وَلَكِنَّهَا لَكَ) اتحدت هذه الضـمائر في مرجعيتها إلى المذكور الأول (البَقَرِ).

وهذه الإحالة حققت التماسـك النصـي للقصـة، وهي ـــ أعني الإحالة ـــ تعد من أهم الروابط بين مكونات الخطاب؛ حيث تقدمه في صـورة جمل متسـلسـلة، سـهلة الاسـتيعاب والتذكر، وهو ما يسـهل التعايش مع الخطاب، ومن ثم الاقتناع به، والإذعان لما جاء فيه.

17 – قلة الصـور البيانية في القصـة؛ لأن المقام مقام تقرير الأحكام وإظهار الحقائق، ومن أبرز الصـور البيانية صـورة التشـبيه في قوله: (أَنِّي كُنْتُ أُحِبُّ امْرَأَةً مِنْ بَنَاتِ عَمِّي كَأَشَـدِّ مَا يُحِبُّ الرَّجُلُ النِّسَـاءَ)، وصورة النهي عن فض الخاتم إلا بحقه.

١٨ – قلة المحسـنات البديعية، وما جاء منها جاء لأن المعنى يتطلبه، كما في الطباق بين «نَائِمَانِ» و «أُوقِظَهُمَا»، وكما في جناس الاشـتقاق بين (أحلب) (الحلاب)، ومراعاة النظير بين الأسـماء الثلاثة (الصبية وأهلي وامرأتي).

الخاتمــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على من ببعثته تمت الرسالات، وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد ..

فقد تناولت في المباحث السابقة تحليل النظم النبوي في قصة أصحاب الغار الثلاثة تحليلًا بلاغيًا يكشف عن خصائصه اللغوية وأسراره البيانية، ويبين ما فيه من تشابه وتنوع.

وقد بدأت بتمهيد بعنوان: بين يدي حديث أصحاب الغار الثلاثة، وتحدثت فيه عن مجموعة مسائل مهمة تتعلق بحديث أصحاب الغار الثلاثة، تكشف وتمهد للحديث ولدراسته.

وأتبعته بالمبحث الأول: وتناولت فيه بالتحليل النظم النبوي في فضيلة التوسل بالعمل الصالح، وأهم خصائصه.

وتلاه المبحث الثاني: وتناولت فيه بالتحليل النظم النبوي في قصة الرجل البار بأبويه وأهم خصائصه.

وجاء المبحث الثالث: وفيه تحليل للنظم النبوي في قصة الرجل العاف عن الحرام، وأهم خصائصه.

وتبعه المبحث الرابع: وفيه تحليل للنظم النبوي في قصة الرجل الأمين وأهم خصائصه.

ثم كان المبحث الخامس: ورصدت فيه أهم الخصائص البلاغية العامة في قصة أصحاب الغار الثلاثة.

وبعد هذه المسيرة العطرة في ظلال قصة أصحاب الغار الثلاثة نرصد الحقائق التالية:

ـ القصة النبوية نهج متميز.

ـــ يعد حديث قصة أصحاب الغار الثلاثة من الأحاديث المشهورة المتفق عليها، التي تلقتها الأمة بالقبول، فقد رواه جمع من الأئمة، عن كثير من كبار الصحابة رضوان الله عليهم.

ـــ تعد قصة أصحاب الغار الثلاثة من أطول القصص في السنة النبوية، وقد تعددت حلقاتها، وتنوعت مشاهدها، واشتملت على ضروب من العظات والعبر.

ـــ بروز عنصر المناجاة في قصة أصحاب الغار الثلاثة؛ فقد كان أقوى العناصر البارزة فيها؛ حيث ناجى كل رجل منهم ربه بما أسلف من الخير في حياته.

ـــ للخصاص البلاغية في القصة جانب كبير في إبراز المعاني المقصودة، وإظهار الأغراض المرادة، ومن ثم برزت هذه الخصـائص في ثنايا القصـة؛ فلم يخل منها تعبير ولا أسـلوب، بل لم تخل منها كلمة ولا لفظة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

ثبت بأهم المصادر والمراجع

ـ الأساليب الإنشائية في كتاب الأدب من صحيح البخاري، دراسة بلاغية تحليلية، لصبغت الله بن نقيب الله الأفغاني، نشر الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٤٣٧هـ.

ـــ أساليب الطلب في الحديث الشريف، دراسة لغوية بيانية في الموطأ، للدكتور/ محمد سعيد عبد الله، نشر: دار الثقافة للنشر والتوزيع ٢٠٠٠م.

- أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، نشر: مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة.

ـــ إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني، نشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة: السابعة١٣٢٣هـ.

- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، نشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

ـ أنسجة الارتباط وآليات الربط في تركيب الحديث النبوي الشريف حديث (أصحاب الغار والصخرة) في فتح الباري بشرح صحيح البخاري أنموذجًا للدكتور لزهر كرشو.

- البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج لمحمد بن علي، نشر: دار ابن الجوزي، الطبعة: الأولى ١٤٢٦هـ ـ ١٤٣٦هـ.

ـــ بلاغة تطبيقية دراسة لمسائل البلاغة من خلال النصوص للدكتور/ بسيوني عبد الفتاح فيود، نشر: مطبعة الحسين الإسلامية، الطبعة الأولى ١٩٩١م.

- البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها وصور من تطبيقاتها بهيكل جديد من طريف وتليد، للدكتور عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، نشر: دار القلم. دمشق. الطبعة: الأولى ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

- البلاغة العربية في ثوبها الجديد، د/ بكر شيخ أمين الطبعة الثالثة، نشر: دار العلم للملايين ١٩٩٣م.

ـ البنية الإيقاعية في شعر حميد سعيد، حسن الخرفي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٩ م.

ـــ بنية الزمان والمكان في قصص الحديث النبوي الشريف، للباحثة سهام سديرة، جامعة منتوري-

قسنطينة كلية الآداب واللغات قسم اللغة العربية وآدابها ٢٠٠٥/ ٢٠٠٦م.

ـ البيان النبوي لمحمد رجب البيومي، نشر: دار الوفاء، الطبعة: الأولى ١٩٨٧م.

- التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، نشر: الدار التونسية للنشر – تونس: ١٩٨٤هـ.

- التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر، للدكتور/ عبد الفتاح لاشين، نشر: دار المريخ ـ الرياض ـ بدون تأريخ.

ـــ التصوير الفني في الحديث النبوي د/ محمد لطفي الصباغ، نشر: المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

- تهذيب اللغة للأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، نشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى ٢٠٠١م.

- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - إبراهيم باجس، نشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: السابعة ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.

ـــ جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، للدكتور/ ماهر مهدي هلال، نشر: دار الرشيد بغداد ١٩٨٠م.

- جماليات صحيح القصص النبوي دراسة أسلوبية في المستوى التركيبي لمؤيد يحيى قاسم، نشر الجامعة العراقية.

- جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري، نشر: دار الفكر – بيروت.

- الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي، تحقيق: دكتور/ فخر الدين قباوة، والأستاذ محمد نديم فاضل، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤١٣هـ١٩٩٢م.

ـــ حاشيته السندي على "مسند الإمام أحمد"، حققه وضبط نصه وعلق عليه د/ أبو معاذ طارق عوض الله، نشر: دار المأثور للنشر والتوزيع، ١٤٣١هـ.

ـــ الحداثة والتجسيد المكاني للرؤية الروائية رواية " مالك الحزين نموذجا" لصبري حافظ، مجلة

فصول الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد ٤ سبتمبر ١٩٨٤م.

ـ الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، د/ كمال عز الدين السيد، نشر: دار اقرأ، الطبعة الأولى ١٩٨٤م.

ـ خصائص القصة الإسلامية لمأمون فريز جرار، نشر: دار المنارة ١٩٨٨م.

– الدر الصـــون في علوم الكتاب المكنون للســـمين الحلبي، تحقيق: الدكتور/ أحمد محمد الخراط، نشر: دار القلم، دمشق.

ـ الدعاء للطبراني، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، نشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٣هـ.

ـــ دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، نشر: مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.

– دلالات التراكيب للدكتور/ محمد أبو موسى، نشر: مكتبة وهبة، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ١٩٨٧م.

– الدلالة المفارقة للمكان الروائي عند عبد الحميد بن هدوقة، لعثمان بدري، مجلة اللغة والآداب، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، العدد ١٣ ديسمبر ١٩٩٨م.

– ديوان أُمية بْنُ أَبي الصَّلْتِ، جمعه ووقف على طبعه: بشير بموت، نشر: المكتبة الأهلية ١٩٣٤م.

– السرد الروائي في أعمال إبراهيم نصر الله، لهيام شعبان، نشر: دار الكندي ٢٠١٥م.

ـ السُّمُوُّ الرُّوحِيُّ الْأَعْظَمُ وَالْجَمَالُ الْفَنِّيُّ فِي الْبَلَاغَة النَّبَوِيَّة للرافعي، تحقيق: أبي عبد الرحمن البحيري وائل بن حافظ بن خلف، نشر: دار البشير للثقافة والعلوم، الطبعة: الأولى.

ـــ سنن أبي داود، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط – محَمَّد كامِل قره، نشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م.

ـ شرح أحاديث من صحيح البخاري، للدكتور/ محمد أبو موسى: صـ٣، نشر: مكتبة وهبه.

ـ شرح حديث أصحاب الغار والصخرة للدكتور/ محمد الدبيسي، الطبعة الثانية: ٢٠١٣م.

– شرح السنة للبغوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – محمد زهير الشاويش، نشر: المكتب الإسلامي –

دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

ـــ شرح رياض الصالحين لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين، نشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: ١٤٢٦هـ.

- شرح صحيح مسلم لأبي الأشبال حسن الزهيري آل مندوه المنصوري المصري، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.

- شعب الإيمان للبيهقي، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور/ عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، نشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م.

ـــ الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه للدكتور/ محمد النويهي، نشر الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠١٠م.

ـــ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، نشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

- صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ.

- صحيح ابن حبان، بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، نشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.

ـــ صحيح القصص النبوي، للدكتور/ عمر سليمان عبد الله الأشقر، نشر: دار النفائس الأردن، الطبعة: السابعة ٢٠٠٧م.

- صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

ـــ الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز للعلويّ، نشر: المكتبة العنصرية – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٢٣هـ.

- علم الأصوات وأصوات اللغة العربية، د. روعة محمد ناجي، نشر المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان

٢٠١٢ م.

- علم الأصوات العام: د/ بسام بركه، نشر: مركز الإنهاء القومي، بيروت.

ـ عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني، نشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

- غريب الحديث للخطابي، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، خرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي، نشر: دار الفكر – دمشق ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، تعليق العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، نشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ.

ـــ أبو فراس الحمداني الموقف والتشكيل الجمالي، د/ النعمان القاضي، نشر دار الثقافة ودار التوفيق، الأزهر ١٩٨١م.

ـــ الفروق اللغوية، تحقيق وتعليق: محمد إبراهيم سليم، نشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.

- قراءة في الأدب القديم، د/ محمد أبو موسى، نشر: مكتبة وهبة، الطبعة الثانية، ١٩٩٨م.

- القصة في الحديث النبوي دراسة أسلوبية للباحثة/ كريمه حجازي، نشر جامعة باتنه، الجزائر ٢٠١٨م.

ـ القصص في الحديث النبوي، دراسة فنية وموضوعية، للدكتور/ محمد بن حسن الزير، الطبعة الثالثة: ١٩٨٥م.

ـــ القصص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم ويوسف، لعبد الكريم الخطيب، نشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ١٩٧٥م.

- الكاشف عن حقائق السنن للطيبي، تحقيق: د/ عبد الحميد هنداوي، نشر: مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة – الرياض)، الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ١٩٩٧م.

- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، نشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة ١٤٠٧هـ.

ـــ الكوكب الوهَّاج والرَّوض البَهَّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج لمحمد الأمين بن عبد الله الأُرَمي العَلَوي، مراجعة: لجنة من العلماء برئاسة البرفسور هاشم محمد علي مهدي، نشر: دار المنهاج – دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م.

ـ لسانيات النص – مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد الخطابي، المركز الثقافي العربي ١٩٩٧م.

ـ لسان العرب لابن منظور، نشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة ١٤١٤هـ.

ـــ اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان لمحمد فؤاد عبد الباقي، نشر: دار إحياء الكتب العربية – محمد الحلبي (بدون طبعة وبدون تاريخ)

– مجمل اللغة لابن فارس، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان

دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

– المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، نشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

– مختار الصحاح لزين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، نشر: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة: الخامسة ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

– مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لملا الهروي، نشر: دار الفكر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ٢٠٠٢م.

ـــ مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرين، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، نشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.

– مسند البزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد، وصبري عبد الخالق الشافعي، نشر: مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، الطبعة: الأولى ١٩٨٨م.

– مسند الروياني، لأبي بكر محمد بن هارون الرُّوياني، تحقيق: أيمن علي أبو يماني، نشر: مؤسسة قرطبة – القاهرة، الطبعة: الأولى ١٤١٦هـ.

ـــ مسند الشاميين للطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، نشر: مؤسسة الرسالة – بيروت،

الطبعة: الأولى ١٤٠٥ - ١٩٨٤م.

- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للفيومي، نشر: المكتبة العلمية - بيروت.

ـــ معالم البيان في الحديث النبوي، للدكتور/ عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر، نشر: مكتبة دار المنهاج بالرياض، الطبعة الأولى ١٤٣٥هـ.

ـــ المعجم الأوسط للطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، نشر: دار الحرمين - القاهرة.

- معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم للدكتور/ محمد محمد داود، نشر: دار غريب للطباعة والنشر ٢٠٠٨م.

- معجم الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، نشر: مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة: الأولى ١٤١٢هـ.

ـ المُعْجَمُ الكَبِير للطبراني، تحقيق: فريق من الباحثين بإشراف وعناية: د/ سعد بن عبد الله الحميد ود/ خالد بن عبد الرحمن الجريسي، الطبعة: الأولى: ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.

- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، للدكتور/ أحمد مطلوب.، نشر: مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة ١٩٨٧م.

- مع سورة الواقعة دراسة وتحليل فاتحة السورة، مقال بمجلة الوعي الإسلامي، العدد (٢٧٣) ١٤٠٧هـ١٩٨٧م.

- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام، تحقيق: د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله، نشر: دار الفكر - دمشق، الطبعة: السادسة، ١٩٨٥م.

ـــ مفتاح العلوم للسكاكي، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، نشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى١٤١٢هـ.

- مقاييس اللغة لابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، نشر: دار الفكر:١٣٩٩هـ١٩٧٩م.

- من أسرار التعبير القرآني دراسة تحليلية لسورة الأحزاب، للدكتور/ محمد أبو موسى، صـ٦٠، نشر: مكتبة وهبة، الطبعة: الثانية١٩٩٦م.

- من أسرار النظم القرآني آيات وعبر، للدكتور/ محمد عبد الله سعادة، نشر: مكتبة بسملة بالإسكندرية.

- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي، نشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثانية١٣٩٢هـ.

- نتائج الفكر، للسهيلي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، نشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الأولى: ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.

ـ وظائف الكناية والتعريض في الحديث النبوي الشريف، لأحمد بدري منصور البشابشة، نشر: جامعة آل البيت ٢٠١٠م.

المحتوى

المحتويات

الملخص..... ٢٠٤١

المقدمـــة ٢٠٤٣

تمهيد: بين يدي حديث قصة أصحاب الغار الثلاثة ٢٠٤٧

المبحث الأول: خصائص النظم النبوي في فضيلة التوسل بالعمل الصالح ٢٠٥٩

المبحث الثاني: خصائص النظم النبوي في قصة الرجل البار بأبويه ٢٠٧٥

المبحث الثالث: خصائص النظم النبوي في قصة الرجل العاف عن الحرام ٢٠٩٧

المبحث الرابع: خصائص النظم النبوي في قصة الرجل الأمين ٢١١٦

المبحث الخامس: الخصائص البلاغية العامة في قصة أصحاب الغار الثلاثة ٢١٣٣

الخاتمـــة ٢١٣٩

ثبت بأهم المصادر والمراجع ٢١٤١

المحتوى ٢١٤٩

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٢٠٢٢/١٤٥٩٦